Looloo
www.looloolibrary.com

حلقة رعب

سأقول.. سأقول

سالى عادل

روايات مصرية

بمناسبة الذكرى الثلاثين لروايات مصرية للجيب

لأساتذتى الأحباء :

أ/ أحمد المقدم

د . / نبيل فاروق

د . أحمد خالد توفيق

أ/ خالد الصفتى

وللقراء الأعزاء

أتمنى لكم الكثير من الحب ، والقليل من الرعب ..

Looloo
www.looloolibrary.com

عن الحب والرعب ..

كنت أود أن أقول :

من قال إن الحب ليس مرعبًا ؟ أنت فتى كبير ومسئول ، فهل تستطيع رعاية من تحب ؟! هل تستطيع أن تنقذ فتاتك من الأوغاد واللصوص وقطّاع الطرق ؟! هل تستطيع أن تجنّبها السيارات المسرعة والأمراض والكوارث ؟! هل تستطيع أن تحميها حتى من نفسك ؟! أنت تنظر للباكين من فراق أحبائهم وترتجف خوفًا أن تهجرك ، أنت حتى لا تفكّر أن ثمة اختراع يسمى (موت) يتسبب فى فراق الأحباء ! هل تخاف أن تتركك وتموت ، هاه ؟! إذًا ، كيف يكون شعورك .. لو تركت الموت ، وعادت إليك ؟!!

فقط ، كنتُ أتساءل .

عن لعنة (ليلى برهان) ..

استمع لى ، أنت تهمنى ، لو لم تكن تهمنى ما كنتُ لأنصحك : ابتعد عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) لا تملك روحًا مثلنا ، إن لها نصف روح فقط ، والنصف الآخر حمله وفرّ به من يدعى (سامى عزيز) .

(ليلى برهان) لا تملك عمرًا مثلنا ، إن لها ربع قرن أخذته كاملاً وأنكرته ، ربع قرن لا تفعل شيئًا سوى اتساع العينين وسقوط الفك مع الارتجاف ، ثم الجلوس لأقرب مقعد تحكى لأول عابر عمّا أصابها ، ولا تنسى أن تخبره أنها لم تأخذ شيئًا من العمر ، ويمكنها أن تصوّب عينيها الكاذبتين إلى عينيك لمدى ما شئت دون أن تطرُف ؛ تقول إنها تريد عمرها .

(ليلى برهان) لا تملك اسمًا مثلنا ، إن اسمها ميراث من الماضى والحاضر سيحنى ظهرك ، ومتاهة من كتب النثر والشِّعر ستدير رأسك ، وأنشودة من أناشيد الحب والرعب سترجف بدنك ، ترعد عظامك ، تذيب أعصابك ، تجمّد دماءك ، تزيغ بصرك ، تشيب شعرك ، تخبّط أسنانك ، تفكك ركبك ، تنحل وبرك ، تقصف عمرك ، فتحلى بالحكمة وانفد بجلدك من (ليلى برهان) .

Looloo
www.looloolibrary.com

(ليلى برهان) ــ أغلب الوقت ــ شعرها قصير ، يشاهدونه فى أوقات طويلاً . عينها سوداء ، تبدو فى مرات خضراء . وزنها مثالى ومع هـذا تتبع حمية ؛ لأن الميزان يخبرها عن ضعف وزنها .

(ليلى برهان) ــ أغلب الظـن ــ تعمـل نادلـة ، إنهم يشاهدونها تدخل وتخرج من مطعم غريب تحوم حوله القطط السوداء : وردیات عمل مسائية ، زبائن غرباء الأطـوار ، وتقطيبة دائمة على جبينها ــ كما التعويذة ــ تطرد الأرواح الشريرة ، ومع هذا تجذبك أنت ، لأن روحك ليست شريرة ، وعـودك الأخضر سينثنى على يديها حتى تسـمع الطقطقة ، فتشبث بجبل يعصمك منهـا واركض إلى أبعـد ما يمكنك عـن (ليلى برهان) .

(ليلى برهـان) ــ أغلب العمـر ــ تجلس وحيدة ؛ ولذلك لا أفهم بالضبط سبب ضحكها فجأة ثم تكويرها قبضتها لتدفع بها فى كتف خفى ، لا أعرف سر توقفها فى الطريق لتحية من لم يوجد ، أو مغزى ردها على الهاتف حين لا يرن .

استمع لى ، لا تستمع إلى (ليلى برهان) !

ستندهك كما النداهة وستنجذب لها كما المجذوب . ستركض أميالاً خلف كلمة من شفاهها حين تنطق ، وستدمن حميميتها حين تنصت إليك بوجل ، وتجيب أحزانك بهمهمة لا أكثر لكن فيها كل المواسـاة ، وحيـن تصمت

أنت ، سترفع إليك طرف عينها هامسة : « وماذا بعـد ؟ » ، وستجد أنك تسترسل فى الحكى حتى لتفتح قدس أقداسك ، وتفصح عن سر أسرارك دون أن تعى ، ثم تسكب فوقه روحك فى فنجان وتقدمه لها . ثم أخبرنى بعدها كيف ستعيش من دون روح .

ستحبها ، ولن تقدر أن تخبرها أنك تحبها ، ستكتفى منها بتربيت كتف الأصـدقاء ، ستكتفى أن تلمـح قلقها عليك إذا ما سعلتَ وركضها لتجلب كوبًا من الماء والدواء ، تكتفى أن تحدّثها عن صديقك الذى يحب مـن طرف واحـد ، وتحدّثك هى عن أحبّائها الجدد الذين لستَ أحدهم . وفى اللحظة التى تقرر بها أن تتغلب على مخاوفك وتصارحها بحبـك ستتراجع سنتيمترات للوراء ، ترسم الدهشة على وجهها فى حين تخبرك فيما يشبه الحرج : « ولكنى حكيت لك عن حبيبى الجديد » .

وستعرف أنت أن حبيبها الجديد هو غريمك القديم هو عدوّك الأوحد ، هو من يدعى (سامى عزيز) ، وأنّ كل حبيب غيره يأتيها حاملاً حياته على كفّه ، فتنتقى منها بعض الدفء ، بعض السعادة ، بعض الصبر على فراق (سامى عزيز) ، ثم ترد إليه كفّه . وأنـت مسكين يا أنت . أنت اسمٌ على قائمة أطول من الليالى السوداء التى تنتظرك فى عشق (ليلى برهان) .

ستعلم ــ متأخرًا ــ أننى صدقتُ حين أخبرتك أن (ليلى برهان) ملكة الاحتمالات وسيدة التناقضات وبطلة الحكايات غير المكتملة ، إنها حنونة

Looloo www.looloolibrary.com

وقاسية ، وإنها قد تحبك ، وقد لا تأبه بك على الإطلاق ، ستعرف أنها ناعمة كالثعابين ، ودمعتها قريبة كالتماسيح ، وقليلة الحيلة كما الـ (أنثى) ، أقول لك : أ ـ ن ـ ث ـ ى ، وأنت تعرف كم عظيم كيدهن !

ولن تعرف ، لا أحد يعرف لماذا تستخدم تلك البرينة أناملها الصغيرة لتكتب الرعب دونًا عن الأنواع الأخرى ، لا أحد يفهم لماذا تستخدم صوتها الرقيق لتقرأه على نفسها قبل الآخرين ، ولا أحد يلمح التماع عينها باللذة حين ترتجف خوفًا من حرف كتبته بنفسها .

انتبـــه لى ..

أنا هنا فى الظلام أتكبد نصيحتك ، وأنت تسعى بإصرار لأن تصيبك لعنة (ليلى برهان) ، ألم تحاول أن تسأل نفسك :

لماذا تترك (ليلى برهان) العمل فى مجال دراستها كصحفية واعدة وتفضّل أن تعمل نادلة فى ذاك المطعم المريب !

لماذا تترك البشر على الأرض وتصادق شبحًا على الإنترنت تناديه (فانتوم) وتبث إليه حكاياتها عن عوالم لا أدرى كنهها ، وشخصيات ليست على ما يُرام ؟

لماذا تتزوج بواحـد فى حين تهيم بآخـر ، ثم يظـل بقلبها متسع لـ (عاصم) و(نائل) و(إيهاب) و(فريد) و ... أخشى أن أنسى أحدهم ؟!

ولماذا بعد كل هذا ، تظل تأمل أنت ـ فى أسعد أحلامك ـ بأن تصير أحدهم ؟!

ألم يخطـر ببالك مـرّة أن تسـأل تلـك الأرملة الحزينـة المسـماة (ليلى برهان) :

كيف صارت أرملة بعد زواجها بهذه السرعة ؟ وأين ذهب الطفل الذى كانت تحمله ببطنها ؟!

لم يعد هناك وقت ، استجب لى ، لا تقترب من (ليلى برهان) ، لا تعبر بشارع عبرت به (ليلى برهان) ، لا تبحث فى ذاكرتك ، لا ترسم فى مخيلتك ، ولا تردد فى خاطرك جملة تحمل اسم حبيبتى (ليلى برهان) .

بإخلاص ..

أحدهـم .

Looloo
www.looloolibrary.com

مقدمة

(أيها القادم ترفّق ؛ سُلّمة الحاضر نخرة ، تُسقِطك إلى المستقبل ، وليت المستقبل أفضل ! فتمهل) .

(فانتوم) :

تتأخرين كثيرًا فى الرد ، ففيمَ انشغالك ؟

(ليلى) :

عذرًا ، إننى مشاركة فى حلقة نقاشية اجتذبتنى أجواؤها وأثارت شجونى ، يدور فيها الحوار تحت عنوان « عذاب الحب » ، لِمَ لا تشاركنا ؟

(فانتوم) :

« عذاب الحب » ! يبدو اسمًا مبتذلاً لفيلم رخيص .

(ليلى) :

دع عنك التحذلق وشاركنا .. فهذا الاسم الذى لا يروقك يمكننى أن أنتقده أمام الناس وأسخر منه كما أشاء ، أما من وراء شاشتى الإلكترونية ، وأمام شبح قد فارق الحياة مثلك ، فأستطيع أن أعترف أنه قصير وصادق : الحب عذاب ، لا ينكر هذا غير محظوظ .

* * *

« وهل قلت أننى لن أقول ؟! »

Looloo
www.looloolibrary.com

1

أنت نجم هذا المكان ...

هنا ، أنت أكثر نجاحًا ، شهرة ، وتميزًا .

واثق من نفسك ، محبوب ، ومتألق .. صورك تقول هذا .

إن لك مريدين ، أصـــدقاء ، وتابعين ، ينتظرون خبرًا عنك ، أو كلمة من فمك .

أنت ماهر بدرجة لا يستوعبها عقلك ، مهارتك توازى عفاريت الجن التى تجلب العرش قبل أن يقوم سليمان من مجلسه أو يرتد إليه طرفه ، تطبع كلمتين وتضغط مفتاحًا ، وهذا هو كل شىء .

أنت جرىء ، وهنا سوف تقول كل ما لم تقله ، وتقوم بكل بكل ما لم تجرؤ عليه ، هناك .

أنت مرغوب ، وسوف تتلقى رسائل لا حصر لها من أشخاص لم يخطر لك أن يراسلوك .

أنت بخير هنا ،

وحبيبك إلى جوارك هنا ..

مشكلة وحيدة لم يحلها لك الإنترنت ..

مشكلة وحيدة لم تعمل حسابها ..

أنك برغم كل هذا ،

وحيـــد جدًا ....

يحدث أن تتوق للصحبة ..

يحدث أن تبحث عنها بداخل وحدتك الإلكترونية ..

فأنت لا تعرف وطنًا غيرها ...

وحين تجدها ، أعدك أن تحصل على قدر من السعادة ...

قبل أن تكتشف الخدعة ...

إنها ليست حقيقية ...

ولكنها تبدو كذلك ...

فانعم بها ...

ولا تفكر فى ذلك .

كثيرون حاولوا إزاحتك ، وأنت نفسك قد حاولت إزاحتك ولكن هيهات ..

أنت هنا ، عشت هنا ، وستموت هنا ..

كل ما أخشاه ، أن تحل هنا ، حين تعود بعد الموت .

~

Looloo
www.looloolibrary.com

العدد سبعة . أذكر هذا لأننى أحصيتهم جيدًا ، أما حين بدأ الأدمن الحديث مرحبًا بنا بصوته الذى دعانى لتوقع أنه رجل ناضج وقيادى ، فقد قال :

ــ العدد ستة .

مما دعانى للظن بأنه ناضج وقيادى وحمار ، ثم حوّل الغرفة إلى سريّة مكررًا :

ــ بالنسبة لى العدد ستة ، وبالنسبة لكل منكم العدد ستة ، ست تنويعات على قصته عن الحب والألم ، ست تربيتات على كتفك : لا تتألم ، لقد كنت عاشقًا مثاليًا وقد فعلت ما بوسعك . ست سكاكين تنغرس بجرحك : تألم كثيرًا جدًا ، لقد كنت لعبة بأيديهم ، ولا زلت لم ترَ ألمًا . ست حكايات ستذكرك بجراحك كلها ، ما مضى وآلمك وقوعه ، وما سيأتى ولن تحب وقوعه ، وما لن يأتى وكنت تأمل بوقوعه ، لو تظن أنك هنا لتجد العزاء ، أنا أخبرك : قمة العزاء للأحباء هى فى اجترار الألم . ليس لى سلطان ، غير أنى أحب أن يبقى الجميع حتى نهاية السهرة .. فهل تقبلون ؟

وعلى لوحة الدردشة الكتابية رحّب الجميع بالفكرة ، وكتبتُ شيئًا عن تفرغى لليلة ، ثم بدأنا بالتعارف ، من الصعب أن أمتلك صورة عنهم من خلال أصواتهم لكنى أنقل تصورى :

الأدمن هو (عادل) ، وأضيف أنه على الأرجح فى الثلاثينيات .

(يا من) : له صوت جذاب ، ولا زال شابًا أيضًا .

(سارة) : صوتها ناعم جدًا وآسر ، ولها نغمة غنج فى صوتها ، ولا شك أن مثلها تنجح من أول كلمة فى إغواء الرجال ، وهى فى العشرينيات على الأكثر .

(مايا) : صوتها متهدج ورقيق ، تشعر أنها تلفظ أنفاسها مع كل كلمة ، ولا شك أن لهذا تأثيره أيضًا على أنواع أخرى من الرجال .. ولا أدرى لماذا أنشغل بتأثير الأصوات على الرجال على أية حال !

(بشير) : هذا صوت خشن بالمطلق ، لا أدرى لِمَ هذا !

(منال) : صوتها جميل كذلك ، لكنى لن أميزه بسهولة بين الأصوات ، ربما سيميزه أنه الوحيد غير المميز .

ثم صوتى ، يقولون إنه حاد مثل صوت العرسة ، وفى مقولة : العنزة ، لكننى أقول إنهم حاقدون وصوتى لا بأس به .

سألنا (عادل) عمّن يحب أن يبدأ الحديث ، طلبت (مايا) المايك ، ثم عدلت عن طلبها ، ثم حصلت عليه .

سعلتْ ، ثم بدأت حديثها ، فسرى صوتها الرقيق متهدج النبرات :

.. Am sorry but –

لا أشعر بأننى الأنسب لبدء هذه الأمسية ...

تدخل الأدمن :

ــ ولماذا ؟

You will not believe, -

Looloo
www.looloolibrary.com

إن حكايتى ليست من طراز الحكايات المعتادة ، وأرجو أن ترجئونى للنهاية ، فلربما يسعفنى الحظ بشخص له حكاية أكثر غرابة ..

ـ تأكدى أن جميعنا هنا مستعدون لسماعك بكامل قلوبنا ، فقط حاولى الحفاظ على السرد بالعربية ، تفضلى ..

ـ حسنًا ...

. I'll try

كنا صغارًا

نكتب على ذاك الجدار

« الحب عذب »

نسينا الألف

والمعنى جد اختلف(*)

* * *

(*) للشاعر عبد الرحمن بن مساعد .

Looloo
www.looloolibrary.com

الصوت المجروح ذو اللكنة الأمريكية

حكاية (مايا) :

عن الصوت المجروح ذى اللكنة الأمريكية ..

عن الغائب فى عالمه حاضرًا فى عالمى ..

عن الرجل المشنوق الذى عشقته ...

Looloo
www.looloolibrary.com

اسمى (مايا)

عندى من العمر تسعة عشرة عامًا ، ولم أحصل على حبيب بعد ، ولكنى لست منزعجة ، لأننى بقدر ما أشتاق للحب بقدر ما لا أستعجله ، فأنا أعلم أنه حين يجيىء لن يكون حبًّا عاديًّا كالآخرين ، سيكون حبًّا كاسحًا ، وسأصنع من أجله المعجزات .

عندى من العمر تسعة عشرة عامًا ، ويمكننى أن أصبر من دون حبيب حتى مدى بعيد ، حتى أيام طويلة من الشقاء ، حتى ليال عديدة من البكاء ، تنتهى فى يوم مولدى العشرين ، وهذا آخر ما يمكننى الصبر عليه .

حينها سأصبح امرأة جذابة ، ولدى حبيب مدهش ، وحين أتخرج سأحصل على عمل مرموق .. بالرغم من أنه لا بصيص من أمل الآن ، فلا أنا متميزة فى شىء ، ولا أدرس بكلية مرموقة ، ولا بى ما يجذب الرجال ، ولكننى سوف أعمل سنة كاملة على تغيير هذا؛ سأخفض وزنى ، وأتعلم لغة ، وأقرأ ألف كتاب ، وإلى جانب الاجتهاد ، استعنتُ بشىء من الحظ .

ولأن الخيارات محدودة فى هذه المحافظة النائية التى أسكن بها ، فقد قررتُ أن أطوّع ما أملك من المعطيات ، دون الحاجة لسفرات للعاصمة ، إنه الإنترنت الصديق القريب والبعيد ، والمسافر فى كل عواصم العالم ،

وإلى غرفة نومك . اتطلعتُ على العديد من أنظمة الحمية ، وأنزلتُ الكتب ، ثم رحتُ أبحث عن برنامج مجانى لتعلم اللغة الإنجليزية .

إن حجمه صغير ، ولكن اتصاله الدائم بالإنترنت يفسر الإمكانيات المهولة التى يحويها ، سيعلمنى الإنجليزية بالممارسة ، وسوف يقرأ لى كل ما يظهر على شاشتى من نصوص ، وذلك بمجرد أن أفتح الجهاز . كما أنه يوفر لى مجموعة من الأصوات يمكننى أن أختار من بينها ما يناسب أذنى ، وبالفعل فإن المجموعة منوّعة بما يلبى كافة الأذواق ، فى البداية كان صوتًا لامرأة تتدفق حيوية وتقول بالإنجليزية :

« مرحبًا ، أنا صوت (كريستين) العملى ، ذو اللكنة الأمريكية » ..

ثم صوت هادئ :

« مرحبًا ، أنا صوت (جورج) الناضج ، ذو اللكنة البريطانية » ..

ثم صوت حزين :

« مرحبًا ، أنا صوت (مايك) المجروح ، ذو اللكنة الأمريكية » ..

توقفت عند هذا الصوت كثيرًا ، برغم انسياب الأصوات فى الخلفية ... تلك النبرة المبحوحة التى تذكرك بطير شريد قد غادر سربه وضل الطريق ، أو طفل صغير نسيه أبواه فى وادٍ من ثلج ، أو مطرب فقد حنجرته وانفض المعجبون من حوله ، تشعر أنه فى عالم وحده .

حين تسمع صوته ، كأنه يريد أن يقول كلامًا ولكنه يؤثر أن يحفظه داخله فيطلع صوته همسًا يخاطب قلبك لا أذنك .. كأنه يريد أن يفصح عن

Looloo
www.looloolibrary.com

شيء من غير الممكن الإفصاح عنه فيتمنى لو تعرفه وحدك . لا يمكننى أن أقول أن صوته جميل ، ولكننى أقول أنه شديد الجاذبية ... وقد عرفتُ منذ اللحظة الأولى أن هذا الصوت وراءه سر ، وأن صاحبه شخص حنون ، وأنا لست أملك فراسة أو ميزة خاصة كما ذكرت بالبداية ، ولكن صدقًا ، لو كنتم سمعتموه لكان أصابكم الشجن ، وغزاكم الحزن من دون أن تدروا لهذا سببًا .

ثم شيء آخر لم يكن ليمر على دون أن أتوقف عنده ، ألا تلاحظون أن اسمه له ذات رنين نطق اسمى .. ذات الحروف فيما عدا حرف واحد .. حينها شعرت أن هذا نداء خفى من (مايك) إلى (مايا) أن تلتقطه من بين الأصوات ، و(مايا) تقدّر قيمة النداء .

بدون كلل أو ملل راح (مايك) يقرأ لى كل ما يظهر على شاشتى ؛ رسائل النظام ، بريدى الخاص ، قطعًا من نصوص أختارها لتنمية اللغة . صوت (مايك) الحنون ذو النبـرة الحزينـة كان يعرف متى يبطئ أو يسرع ، وعندما يمر بكلمة متعددة المقاطع يتوقف لثانية ، ثم يعيد نطقها ببطء كى تعلق بذاكرتى .. وأنا ، مثل تلميذة مجتهدة أظل أتذكرها كما أتذكر كل كلمة نطقها (مايك) من أجل (مايا) .

تلك الخطة التى وضعتها لبناء مستقبلى كانت تسير على ما يرام ، ولكن المجهود المبذول مع الدراسة وأعمال المنزل وبينما أتبع حمية .. كان مجهدًا جدًا ، أما وحمى الاجتهاد قد أصابتنى فلم أكن لأضيع دقيقة دون أن أستغلها ، فبعد عمل يوم شاق ، جلست إلى الحاسب أتطلع إلى المزيد من

تعلم الإنجليزية ، فوضعت نصًا لـ (مايك) من الأدب الإنجليزى يقرؤه على ، غير أن عبارة اخترقت أذنى :

« أرجـو أن ترتاحى الآن ، (مايا) ، كمـا أفضّل أن تتناولى وجبـة مغذية » ..

رجعت بمقعدى للوراء وتصلبت دقيقة ، ثم مددت يدًا مرتجفة أحرّك الماوس نحو إعادة التشغيل ، فانطلق صوت (مايك) بالعبارة الأصلية :

« حدث ذات مرة ، أن فتى يدعى (توم) سمع عن بلاد غريبة » ..

أوقف ، وأعيد التشغيل :

« حدث ذات مـرة ، أن فتى يدعى (تـوم) سـمع عن بلاد غريبة » ..

أوقف وأعيد كالمجنونة :

« حدث ذات مرة ، أن فتى يدعى (مايك) ... »

وتمر لحظات من صمت ...

« أحب فتاة تدعى (مايا) » .

فى صمت أغلقت الجهاز ، وقد آثرتُ أن أخلد للنوم .

* * *

فى الصباح صحوتُ بذاكرة جديدة وتوق شديد لمتابعة البناء ، فقد كان يوم عطلة . أعددت كوبًا من النسكافيه وجلستُ أقرأ كتابًا عن نظرية النسبية لأينشتين ، وقد استغرقتنى تمامًا لساعتين أو أكثر لم أرفـع

Looloo www.looloolibrary.com

رأسى عن الكتاب إلا حين دوّى صوت بدء تشغيل الويندوز ، يتبعه صوت (مايك) بلكنته الأمريكية يقرأ رسالة آلية قد ظهرت عن تحديث برنامج الأنتى فايرس ..

أعاد هذا إلى ذاكرتى ما كان قد سقط منها .. اتخذتُ مقعدى إلى الحاسب ، وقلتُ بصوت هامس بالإنجليزية :

ــ (مايك) ...

هل تريد أن تقول شيئًا ؟

مرت دقيقة دون أن أسمع شيئًا ، فنفضت رأسى ، وبدأت أتصفح بريدى ، وكان ذلك حين وصلنى صوته :

ــ نعم ...

لكن لا أدرى ما هو ..

أمسكت رأسى متسائلة :

ــ أنا جننت ؟

صححنى بهدوء :

ــ إذا أردتِ أن تسألى ، فالأصح أن تقولى : هل أنا جننت ؟

صرخت :

ــ لست أرغب بتصحيح ، بل بتفسير ، أنت صوت مُسجّل ، فكيف هذا ؟

التفتُ فى جزع إلى باب الغرفة ، كان أبى على الباب يتساءل :

ــ من الذى تحدّثينه ؟

الهاتف بعيد عنى ، ولم أجد إلاّ أن أقول :

ــ إنه .. برنامج لتعليم الإنجليزية .

متشككًا أعاد على :

ــ برنامج ؟!! لقد سمعت أصواتًا مثل حوار دائر بينك وبين رجل ...

ــ نعم ، لا ، إنه صوت مسجّل وأنا أردد من خلفه ، انظر ..

وضغطتُ على الماوس فيما أسند قلبى بكفى ، فانطلق صوت (مايك) بنبرة آلية :

ــ مرحبًا ، أنا صوت (مايك) المجروح ، ذو اللكنة الأمريكية .

أدار أبى عينيه فى وجهى ، فأضاف (مايك) :

ــ وسوف أسعد بصحبتكم فى تعلم الإنجليزية .

أومأ أبى مغادرًا :

ــ حسنًا ، فلتخفضى الصوت .

أغلق الباب ، فتهاويتُ إلى المقعد . مرت فترة صمت ، ثم بدأ (مايك) يسعل فى حرج .. واكتسب صوته حنانًا فريدًا إذ يقول :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لستُ هنا كى تألمى ، سأكون رفيقًا طيبًا يؤنسك ويعنى بك ، لقد مكثت معكِ بضعة أشهر عرّفتنى كم أن روحك جميلة ، ومقاتلة ، ومحبة للآخرين ، وقد قبلتِ رفقتى فيما كنتِ تظنيننى صوتًا أصمًا ، فهل ترفضينها إذا علمتِ أننى أشعر وأحس ؟

أقول دون أن أرفع رأسى عن الأرض :

ــ ولكن كيف ... إننى لا أفهم ، وإذا أخبرتُ أحدًا سيقول عنى مجنونة ..

ــ فلا تفعلى ، وأنا إن كنتُ لا أستطيع الإفصاح الآن ، فأعدك أننى سأفعل ذات يوم .

برغم غرابة الموقف إلا أننى أصبحتُ أكثر سعادة ، وللمرة الأولى أعرف معنى الاهتمام ، لم يخبرنى أحد من قبل أن روحى جميلة ، أو مقاتلة ، أو أن ثوبى حلو هذا المساء ، فقد ارتديتُ ثوبًا ضيّقًا بدعوى أنه صار يلائمنى بعدما انخفض وزنى ، ولكن الحقيقة أننى ابتعته خصيصًا من أجل (مايك) ، ولم يخيّب ظنّى ، فقد أبدى إعجابه بكل تفصيلة بالفستان .

سألته :

ــ هل ترانى ، (مايك) ؟

فأجابنى :

ــ أشعر بكِ ، إن روحك تبدو لى أوضح كثيرًا من حدود جسدك .

قلتُ لنفسى :

ــ إننى أحلم .

وسقطت على الفراش ، مددت يدى أسفل الوسادة فالتقطتُ تميمة حظ كنتُ صنعتها لترافقنى فى رحلة البناء ، قبّلتها وأعدتها حيث كانت ، بينما يأتينى صوت (مايك) يحكى لى حكاياته تساعدنى على النوم ، كان حلو الحديث ، ويأخذنى إلى عوالم لم أسمع عنها من قبل ، حكى لى الكثير عن رحلات السفارى والتخييم التى قام بها ، ومغامراته فى حضر أمريكا وريفها ، كان مغامرًا كما يليق برجل جسور ، ولكن هناك نقطة خزى بحياته لم يخبرنى عنها ، وهى التى تركت بصماتها على صوته ، ولم أكن أرغب بجرح كبريائه أكثر ، ولكنى حين لا أستطيع أن أصمت ، أقاطعه فأسأل :

ــ ألن تخبرنى كيف يحدث كل هذا ؟

ــ اغمضى عينيكِ واستمتعى بالحكاية ، وحاولى الوقوع فى النوم ..

ولكننى كنتُ متيقظة بأكثر من أى وقت مضى بحياتى ، كنتُ سعيدة كما ينبغى لأول حب بعمرى الصغير ، وكنت سكرى بلذة هذا الإحساس ، وإن كنتُ أعلم فى ذات الوقت أنه ما إن تخفت هذه اللذة حتى أشعر بالحزن ، ولن يكون حزنًا عاديًا ، سأكون تعسة كما ينبغى لأول جرح بعمرى الصغير . فكنت أؤجل تلك اللحظة بقدر ما أستطيع . لاحظ (مايك) شرودى فقال :

ــ لديكِ عمل بالصباح ، وإن لم تستجيبى للحكاية فستضطرينى إلى ما هو أسوأ ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ وما هو؟

ـ سأبدأ بالغناء !

انتظر دقيقة ، ولمّا لم يجد ردًّا من جانبى انطلق يغنى بصوت خفيض :

I've been alone with you inside my mind

And in my dreams I kissed your lips a thousand times

I sometimes see you pass outside my door :

Hello ! Is it me you're looking for?

I can see it in your eyes,

I can see it in your smile .

You're all I ever wanted, and my arms are open wide...

غيـر أن الرنة الجريحة بصـوته المشروخ قد أسالت دموعى ، وتمنيتُ لو تنجح بالفعل فى إرسالى إلى نوم عميق ، من غير صبح .

* * *

ـ كيف تبدو ، (مايك) ؟

ـ إنه سؤال غريب ..

ـ أقول لك : كيف تبدو؟

ـ حسنًا ... إن وجهى شاحب قليلاً ، وعينى بارزة ، شفاهى زرقاء وعنقى ضامر ...

هل يمكنك أن تتصورى رجلاً مشنوقًا !!؟

وقع صوته فى أذنى مثل صاعقة كهرباء تسرى فى بدنى . ابتلع ريقه ثم استرسل فى الحكى :

« كان خطئى أننى أحببتُ عملى ،

وكان عملى من أجل أن أجنى المال ،

وكان المال من أجل أن يملأ عينيها ..

فكان جزائى أن أُردى قتيلاً على ماندتها ... »

تسللت العصبية إلى نبراته الجريحة :

« ساهرًا فى غرفة مكتبى أعمل على تسجيل مجموعة أخيرة من الأصوات لبرنامج اللغة الإنجليزية ، مجموعة تأخر تسليمها وتأخر ـ بالتالى ـ موعد استلام مستحقاتى من الشركة ، فتأخر معها رضاء زوجتى التى لآخر قطرة من عمرى ـ أحببتها » .

« تعالَ لننم » .

وصلنى صوتها مشوّشًا .. فأزحت السماعات عن أذنى :

« تعالى لتجلسى جوارى .. »

Looloo
www.looloolibrary.com

« بل تعالَ لننم بالأعلى » .

« وهل تريدين هذا » ؟

رفعت كتفها فى لا مبالاة .. فأعدت النظر إلى الجهاز أمامى :

« فلتسبقينى أنتِ » .

رقبتها إذ تغادر ، وضعت السماعات جانبًا ، منحتها مثل خمس دقائق تكفى لأن تصعد الدور العلوى ، تلقى نظرة على الأولاد فى أسرّتهم ، تبدل ملابسها وتمشط شعرها قبل أن تستلقى فوق الفراش متناولةً سماعة الهاتف . كنت أعرف أنها لم تكن دعوة جديّة لأن أصعد معها .. وإنما طُعمًا لجس النبض إن كنتُ سأصعد الآن أم أبقى للعمل .. تناولتُ الهاتف بجوارى فرفعتُ السماعة وحبستُ أنفاسى .. ها هى تتودد إلى عشيقها على مسمعى ، ها هى تتابع فى قسوة طعنى ، ها هى تصر إلى آخر ذرة من أنوثتها ، على محق رجولتى .. لكن هذه المرة مختلفة ، فالمحبين ليسوا ملائكة ، ولا يملكون قدرتهم على التسامح .

وضعت سماعة الهاتف مكشوفة ، أعدت تثبيت السماعة والمايك إلى رأسى ، استعددت لتسجيل آخر كلمة كنتُ أوّجل تسجيلها بالمشروع ، وهتفت بكل قدرتى على الحب والكره والجزع :

« LOVE »

حضرت على عجل ..

نظرت إلى سماعة الهاتف المرفوعة ، وإلى ... ثم قالت عبارة واحدة :

« أريد أن أحصل على الطلاق » ..

لويت عنقى تجاهها :

« تظنين أننى أدفع لامرأة خائنة نصف ممتلكاتى ، ثم أبقى عمرى أنفق على أطفال ليسوا أطفالى ؟ »

ثم عدت أنظر إلى شاشتى :

« عندى خطة بديلة ، لِمَ لا أرفق تسجيلات الزوجة والعشيق على مدى ثلاثة أشهر فى ملف القضية ، ثم تبقى نسخة للأولاد حين يكبرون يعرفون من هى أمهم ، ويبحثون عن أبيهم ؟ »

وفى لحظة كانت قد انقضّت على ، ألجمتنى المفاجأة ، ثم طوقنى سلك المايك حول العنق ، وكانت تضغط بغل لا أعرف من أين اكتسبته ، وقوة لم أظنها تملكها ، كانت تقول من بين أسنانها أن لديها خطة أخرى ، لِمَ لا تقتلنى وتخلص منى ، ثم ترث ممتلكاتى كاملةً ، النصف لها ، والنصف لأبنائها ؟

أذكر أننى أردت أن أقول عبارة لكنها علقت بحنجرتى لا تغادرها بينما يطوّقها سلك المايك يعتصرها ، أردت أن أسعل وأحصل على بعض الهواء يساعد على اهتزاز أحبالى الصوتية بالعبارة ، أردت أن أقول : « ليست فكرة سيئة » .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

يزفر زفرة طويلة ...

تقع حكايته فى نفسى موقعًا عظيمًا .. لا أجد كلامًا إطلاقًا .. يبادرنى :

ــ لم أسمع رأيك ؟

ــ هل لاحظت المفارقة الطريفة بين وفاتك بسلك المايك ، واسمك (مايك) ؟

ــ وما معنى هذا ؟

ــ لا أدرى ما معنى هذا !

ــ لمَ هذه القسوة ؟

أشهق فى دهشة :

ــ تسألنى أنا : « لمَ هذه القسوة » ؟

لمَ تسألنى أنا : « لمَ هذه القسوة » ؟

اسألها هى : « لمَ هذه القسوة » ؟

اســأل الظــروف التى نحياها ، لماذا حين أقع فى الحب ، تعاملنى بهذه القسوة ؟!

يعاجلنى :

ــ اهدئى ، اهدئى .. كنتُ أرغب فى مصارحتكِ كما طلبتِ دومًا .

ــ وأنا .. أرغب بأن أخلد للنوم .

أقوم أعدّ فراشى للنوم ، فيما يتحدث هو :

ــ شىء واحد أريدك أن تعرفيه ، أنا لا ألعب بمشاعرك أو أستخف بك ، أنا أحبك بصدق ، والليلة ، سأتم مخططى للانتقام من الزوجة الخائنة ، وبعدها ، سأتقدم للزواج منك .

أتصلب فى موضعى لحظة ، ثم أتابع توسيد الفراش . لم أشعر بالتعاطف معه كما كان يتوقع ، شيئًا ما قد تغيّر .. حديثه العذب كان يجعل وحدتى تضج بالصحبة ، كلماته المعسولة كانت مما تناسب أميرات من علية القوم ، وليس فقط فتاة مُهمَلة من مجتمع بسيط مثلى .. أما إلى هذا الحد .. فقد انقلب الهزل جدًا ، والحلم كابوسًا ؛ ميراثه الثقيل أطبق صدرى ، وضوؤه البرّاق أحرق أجنحتى ، وإن رغبتُ فى الطيران ، فلم أعد قادرة على التحليق أكثر .

* * *

فتحــت عينى ، فلم أتحمــل منظــر الغرفة .. تسللت مسرعةً إلى الخــارج .. كل ما رأيتــه فى ذلــك الصــباح .. كانــت مشــاهد متناثرة لأحبّاء على الطــريق ، أشخاص قادرون على أن يلمس بعضــهم بعضًا ، هــو يحاوطها بذراعه ، هى تتلمس كفه بأناملها .. ولا شك أنهما حيــن يرغبان بأن يجلسان فى الكوشة ، سيملك كل منهما جسدًا يساعده على تحقيق تلك الرغبــة .

Looloo
www.looloolibrary.com

لم أتحمل الشارع فعدتُ مسرعةً إلى الغرفة ، بادرنى (مايك) :

ــ مرحبًا بعودتك ولكن ، هل وقع لك شيئًا بالخارج ؟

اتخذتُ مقعـدى إلى الحاسب ، وقد اعتزمتُ أمرًا ، قال لى منتشيًا :

ــ عندى لكِ مفاجأة (سارة) ، لقد أنجزتُ وعيدى بالانتقام منها .

تصلّبت أصابعى ، وسألت بفضول حقيقى :

ــ كيف ؟

ولم يكن ما يهمنى هــو شــأره الشخصى ، ولكن اهتممت لأعرف حدود قدراته ، غير أنه لم يشــأ أن يكشــف أوراقــه كاملة :

ــ هذه دعيها لى .

كان يشعر بحسه المرهف أن لدى النية للغدر به ، أو لنقل أن الأمر لا يخفى . بحثت عن جذور البرنامج على جهازى ، تفاجأ (مايك) بشاشة إزالة البرامج أمامه ، تصلّب صوته للحظة ، ثم صرخ :

ــ ما هذا؟

أغلقت البرنامج فورًا ، ثم قمت بتشغيل الإزالة ، غير أن البرنامج راح يعمل من تلقاء نفسه ، فيما يردد (مايك) :

ــ ما الذى تقومين بعمله ، لماذا ترغبين بإزالتى ؟

ضغطت فورًا زر إغلاق الجهاز ، وبعد شاشة سوداء للحظة كان يعود صوت (مايك) للتعالى ، مرة بالضحك ، ومرة بالبكاء ، حاولت كل طرق الإغلاق وحتى انتزعتُ القابس ، فلم يتوقف صوت (مايك) أو تظلم الشاشة ، فصلت السماعات ، فككت الجهاز قطعة قطعة .. و(مايك) يقرأ لى الملاحظات على الشاشة : انفصال قطعة من مخرج يو إس بى ، أو الاحتياج لإعادة تعريف كارت ما ..

ارتميت على الفراش أبكى وأتلمس تميمة الحظ أن تلهمنى شيئًا أفعله .. و(مايك) يقرأ ملاحظة طرأت على الشاشة بصوت أراده عابثًا :

« برجاء ملاحظة توفر تحديث للبرنامج يحتوى على مصطلحات عصرية ومجموعة أحدث من الــ ... أصوات ... »

يرتجف صوت (مايك) ، ينطقها كالمغيب ، ألتقطها على الفور ، تتوقف الدموع بعينى ، أسرع إلى الجهاز وأبذل كل طاقتى لأحصل على هذا التحديث .. فيما (مايك) من الخلفية يشعر بخطر حقيقى فينطلق بالتهديد لأول مرة :

« أنا أحذرك ، (مايا) ، تجنبى حقد رجل محب ، (مايا) ، تجنبى الصبر حين ينفد » ..

أقاطعه ، لا ألقى بالاً :

Looloo
www.looloolibrary.com

« سأمحوك » .

« لقد انتقمتُ من امرأة محوتنى من حياتى الدنيا ، ولن أسمح لامرأة أخرى أن تمحونى من عالمى الآخر » ..

« إن لم أستطع أن أمحوك فلأستبدلك .. »

« فلتحصلى على مصيرها ، ستحصلى على مصيرها » ..

كان هذا حين اكتمل التحديث الجديد ، وانطلق الصوت الرجولى يدوّى :

« مرحبًا ، أنا صوت (إدوارد) الواثق ذو اللكنة الأمريكية »

أعليتُ من صوتى بعبارة وداع ، وانتظرتُ صداها :

« مع السلامة ، (مايك) ! »

لحظات قبل أن يأتينى صوته وكأنه من نفق طويل بعيد :

« (مايك) لا يتم العبث معه مرتين ، (مايا) ، (مايك) لن تخونه أنثى للمرة الثانية » ..

لا أنكر ما تركته عبارته فى نفسى من قشعريرة ، ولكنى ــ وحين خفت الصوت ــ لم يكن ما قد بقى فى خاطرى هو التهديد ، وإنما تلك الرنة الكسيرة فى صوته المجروح ذى الشجن العميق والحس المرهف . وداعًا ، حبيبى (مايك) .

* * *

2

بنهاية الحكاية طبعت (سارة) عبارة على لوحة الدردشة ..

ــ هذا قاسٍ جدًا ..

مططت جذعى وقلت :

ــ لقد أثّرتِ بى .. مسكين (مايك) !

ــ هو المسكين أم أنا ؟

ــ أ ... أقصد يعنى أنتما معًا ..

يبدو أنها محمّلة جدًا منه ، كانت تطبع ردًا على ، غير أن (عادل) أوقفها بسؤاله من خلال المايك :

ــ وهل نفّذ (مايك) وعيده ؟

أنصتنا نصغ إلى إجابتها ، غير أنها قالت بنبرة حاسمة :

ــ سأحتفظ بهذا الجزء لنفسى .

ــ ما معنى هذا ؟

ــ إن لى الحق فى الاحتفاظ بما أريد .

ــ ولأى غرض ؟

سألها بعصبية ، فقالت بحدّة :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ حفاظًا على كرامتى .

وبرغم احتراقنا للمعرفة ، غير أننا رحنا نكتب :

ـ معها حق ، لها حرية ذلك .

ـ دعها وما ترغب ..

وكتب (يامن) :

ـ يبدو أن تلك الدول المتقدمة لم تصدّر لنا التكنولوجيا وحدها ، ولكن اللعنات معها .. أنا أيضًا لى حكاية مع أمريكا ..

ـ وما هى ؟

ـ لتخبرنا عنها ..

راح الجميع يردد ، أما أنا فكتبت لهم :

ـ المعذرة يا (يامن) ، أرجو لو تنتظرونى خمس دقائق ريثما أعد كوبًا من النسكافيه ..

وطلب آخرين طلبات مشابهة ، فسمح لنا الأدمن بعشر دقائق كاستراحة ، ولكنى حين عـدت وجـدت أن الحديث على لوحة الدردشة قد اتخذ منحىً آخر ..

كان الجميع يجمع أنه مستمتع بالسهرة ، وأنها هوّنت عليه وحدته ، واقترح (عادل) والأمر هكذا فلنمسك باللحظة ونلتقى ..

ووسـط ترحيب بالفـكرة اقترح (عادل) اللقاء فى شاليه خاص به ، بينما عقـارب السـاعة تشير إلى السابعة مساءً ، فاضطررت آسفة إلى كتابة :

ـ فى هذه الحالة أتمنى لكم سهرة ممتعة ، لكنى لن أستطيع الحضور .

ـ ولماذا ؟

ـ يجب أن تحضرى ..

ـ لن تكتمل صحبتنا إلا بكِ

فكتبت بأسى :

ـ كان بودّى حقًا لكن لا أحبّذ فى مكان مغلق ، أعتقد أن الفتيات هنا قد أغفلن ذلك ..

قالت (منال) :

ـ أنـا مقيمـة وحـدى ويمكننى الخـروج فى أى وقـت ، وإلى أى مكان .

وقالت (سارة) :

ـ وأنا كذلك ..

وقالت (مايا) :

ـ وأنا مثلكما ..

Looloo
www.looloolibrary.com

وهو ما أثار ذهولى ، إن ظروفنا متشابهة لحد مخيف ، قلت لهم :

ــ نفس الحال هنا ، ومع هذا لا يمكن ..

فتدخل (عادل) :

ــ فلمِ لا نلتقى فى مكان عام .. إنى أمتلك سايبر يعمل على مدار الأربع وعشرين ساعة ، ما رأيكم ؟

ــ جيد جدًا ..

ــ ممتاز ..

ــ لا أدرى ..

كانت هذه منى أنا ..

ــ لا تكونى سخيفة ..

ــ ألم تكتفى من الوحدة ؟

ــ ستستمتعين كثيرًا ، أنا لم أحكِ قصتى بعد ..

تلك كانت من (يامن) ، وهكذا عقدتُ عزمى :

ــ حسنًا ، حسنًا ، سآتى ..

قال (بشير) بسماجة :

ــ أما أنا فلن آتى .

ــ ولِم ؟

ــ بدون أسئلة ، لا أحب كثرة الحديث .

قال (عادل) ملطّفًا :

ــ يا للخسارة .. كنا نتطلع إلى صحبتك ، فماذا يمنعك ؟

ــ لا يستهوينى الحديث ، ولم أشعر سابقًا بآلام للحب ، ولا بالحب ذاته .

ــ أحقًّا يا رجل لم تشعر بالحب ؟ إن هذا يجعلك أول المرشحين لحضور هذا اللقاء ، أنت بحاجة للصحبة أكثر منا جميعًا .

ثم أضاف حاسمًا النقاش :

ــ سأكتب لكم العنوان الآن ، ويجب أن نلتقى سريعًا حتى نستمتع بالسهرة ، وأتمنى أن أراكم جميعًا ، فلو غاب شخص واحد منكم سأكون بقمة الحزن ، والأمر لكم .

* * *

ارتديت ملابس مريحة بالنسبة لسهرة طويلة ، وتناولتُ مشروبى على عجل ..

ثمة مزايا للوحدة .. بعض الحرية ، وجميعنا نستحقها . عدم وجود من يقلق لتأخرك أو يعنفك على تصرف خاطئ ، فمن الطبيعى أن تخطئ قليلاً ، وإلاّ فكيف تتعلم من أخطائك ؟ كما لن يوجد من يحزن إن أصابك مكروه ، وما كان ينقصنى أن أحزن الآخرين أيضًا .

Looloo
www.looloolibrary.com

متوترة إلى حد ما ، ومتحمسة كثيرًا ، غادرت المنزل . ليس ما يشغلنى هو كيف أصل إلى ذلك العنوان الغامض ، ولكن ما يشغلنى هو أية قصة سأقصها ، فما أكثر حكاياتى عن الحب غير المكتمل ، وما لم يكتمل فهو يترك جرحًا بلا شك .. كنت أعرف أنى سأحكى عن (سامى) لأنه حكايتى الأشد ألمًا ، ومع هذا ، لم أدرِ أى جانب من حكاياتنا بالضبط .

لو كان المارة على صواب ، فسأصل إلى السايبر عمّا قريب ، ربما بنهاية هذا الشارع ، وربما للتو ابتدأت الطريق .

لو كان الأمر على ما يرام ، فستمر الأمسية على خير ، صحبة من الفتيان والفتيات جمعتهم الوحدة ، آلام الحب ، ثم الولع بالإنترنت ، التقوا ، تبادلوا بعض الحديث والذكريات ، دمعة على الخد وتربيتة كتف ، ثم رحلوا بنفسية أكثر صفاءً .

أما لو كان حدسى على صواب ، فستكون أمسية بلا صباح ، وهو أمر مقبض بلا شك ، ولكن ما حيلتى فى روحى المقامرة؟

وصلتُ إلى المكان لاهثة ، لوهلة لم أرَ شيئًا ، ثم بدأت تتضح التفاصيل ..

ــ مرحبًا ..

قلتها بارتباك ، فجاوبتنى الابتسامات على الوجوه مضفية جوًّا من الألفة :

ــ لابد وأنكِ (ليلى) .

ــ وأنت (عادل) ، أليس كذلك ؟

كان الجميع فى انتظارى ويبدو أننى قد تأخرتُ جدًا ، بالرغم من أننى لم أتجاوز الساعة .

ــ نعم ، وكيف عرفتنى ؟

ــ لا أدرى ، يبدو وكأن المكان مكانك !

كان عائدًا من المطبخ بصينية شاى ، دارت صينية الشاى ودار معها التعارف .. كانت (مايا) كما توقعتها بالضبط ، فتاة صغيرة ، ربما ليست رائعة الجمال ولكنها رقيقة حالمة ، وبعينها مسحة من الحزن . شاركتها (سارة) تلك النظرة الحزينة ، وكان لها ذلك الجمال الفائر الذى لا يمكنك تجاهله أو التغافل عنه ، لها شعر ذهبى متأجج وترتدى ثوبًا أحمر مثيرًا ، لا يناسب قسماتها البريئة ، ولا يفوقها فى الحسن سوى (منال) ، أما هذه ، فمن الإجحاف وصفها . وقد تمنيتُ فى داخلى أن يساعد الجينز وقصة شعرى الحرة فى أن أبدو أصغر سنًّا ، لأنى كنت الأكبر بينهن .

وعن الرجال فكان أصغرهم (يامن) إذ لا يبدو أنه يتجاوز الخامسة والعشرين بأى حال من الأحوال ، يليه (عادل) ، ثم (بشير) .

يمكننى أن أقول إن السايبر متسع ومجهز جيدًا ، مع ممر يقود لغرفة داخلية ، وهناك ساعة كبيرة أعلى مكتب الكاشير .

رن هاتف (عادل) ، فأجاب :

Looloo
www.looloolibrary.com

« مرحبًا يا حبيبتى » ، « لا ، سأتأخر اليوم بالعمل » ، « لا تعودى لذلك ، تعرفين أن عملى يحتّم ذلك » ..

تتصاعد نبرته الحادة ، وإن أدار لنا ظهره ، وكأننا لن نسمعه حينها ، أنهى المكالمة وعاد ينظر إلينا ، استطعتُ أن ألمح الدبلة بيده اليسرى ، هو إذًا طراز المشاجرات المعتاد لزوج يعمل حتى وقت متأخر .. ابتسم حرجًا واعتذر منا :

ــ عفوًا ، زوجتى لا تقدّر طبيعة عملى ..

وقالت (مايا) :

ــ الغريب أنك متزوج ! ظننتك وحيدًا مثلنا .

ــ وما الغريب فى هذا ؟ حين تتزوجين تعرفين أنك تظلين تحيين وحدك بشكل عادى .

أشاحت بوجهها كأنما تطرد سوء الحظ :

ــ لا تحبطنى أرجوك .

وتدخل (يامن) :

ــ أوافقك ، ولكن : سيكون أفضل لو نغلق هواتفنا لنستمتع بالأمسية ..

وافقنــاه ، وإن احتفظتُ بالهاتف فى وضــع « صــامت » تحسبًا لأى طارئ .. دلف إلى السايبر شاب صغير ، وطلب الجلوس إلى جهاز ، فاعتذر منه (عادل) معللاً :

ــ السايبر مشغول الليلة .

نظر الفتى إلى المقاعد الخالية ، ثم غادر متشككًا . أوصد (عادل) خلفه الباب الزجاجى ، غير أن زائرًا جديدًا وقف يطرق عليه ، فما كان من (عادل) إلاّ أن استأذن منا فى إغلاق الجرّار ، من ثم عاونه (يامن) على إنزال الجرّار المعدنى الخارجى ، ثم أوصد الباب بالمفتاح ، وفيما أظن أنا أنه لم يصنع فارقًا بين السايبر والمكان المغلق كان الجميع منشغلين بالأحاديث الجانبية ، أوقفها (عادل) حين التفت إلينا قائلاً :

ــ ها قد صرنا وحدنا .. فهل أنتم مستعدون ؟

أدرنا كراسى السايبر ، واتخذنا مجالسنا فى مواجهة بعضنا ، بينما يقول (بشير) فى تململ :

ــ ظننت أنكم نسيتم لماذا جئنا إلى هذا المكان القذر !

انتبه (عادل) متحفزًا ، فقالت (منال) مداعبة :

ــ ظننا أنك لن تأتى !

نظر لها من أعلى إلى أسفل وهم لينطق ، فقاطعتُه مسرعة :

ــ حسنًا ، حسنًا ، سنبدأ حالاً ، لِمَ لا تبدأ يا (يامن) ؟

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

كاميرا وفوقها مصـــــور

حكاية (يامن) :

عن فستان للبيع بداخله امرأة

وسكّاتة يجيىء معهـا الطفـل

وكاميـرا وفوقهـا مصـــورّ

Looloo
www.looloolibrary.com

آخر ليالى الغربة ، فى أبرد بقاع الأرض ..

أمريكا ، التى كنتُ قد يممتُ وجهى نحوها قبل شهور طويلة ، وهذه ليلة أخيرة .

وجه زوجتى الذى استوحشنى حد البكاء ، وبكاء طفلى الذى استوحشنى حتى إدماء رأسى بالحائط وتكسير الأوانى .. لستُ أنا طراز الرجال القابل للغربة ، لا أحتمل لحظاتها الأخيرة ، كلما دنت كلما قست كلما جثم فوقى التوق حتى العنق ، ولكنه وللأسف لا يوجد من الرجال طرازات ، هو طراز واحد وهو قابل للغربة ، فإما رجل ، أو لا رجل .

لنقل : رجل ، ولكنى قد أقسمت بحياة زوجتى وولدى ، أنى حين أعود بعد الإجازة ، لأحملن وجههما معى إلى بلادى البعيدة ، ولو بجز العنق .

لا تصدّقوا كل ما تسمعوا ، لم أكن لأفكر يومًا بإيذاء امرأتى وطفلى ، كانت عبارة انفعالية لا أكثر ، لكن نية الاستحضار موجودة ، إن لم يكن أصلاً ، فصورة .

أجهز حقائبى وأدع مكانًا للمزيد ، أقتطع قدرًا من الدولارات من أجل هدايا العودة .. وإنها لفقرتى المفضلة ، فى كامل الغربة .

~

مهرجان التخفيضات ..

يؤمه الجميع فى هذه الولاية الصغيرة ، ولكن من أين يقصدونه ؟ شعرت بالتيه للحظة ..

الموسيقى الصاخبة البعيدة ، سهّلت اقتفاء الأثر ، والألعاب النارية أعلى سماء المهرجان ، مثل نيران يشعلونها إعلانًا للكرم ، وعرضًا للمأوى ، أو حرق أجنحة الفراشات الشاردة .

على الباب وسط حشد من الأطفال يستقبلك المهرج ، لن يمكنك أن تشعر بالراحة مع عينيه الثاقبتين أعلى وجهه الملون ، أحمر أصفر أسود ، وبدلاً من أن تكون مبهجة ، فإن أصباغه مرتبة بشكل مقبض ، عيناه حمراوان ، أسنانه صفراء ، وفمه أسود .. يتقافز بين الأطفال ويعرض بضاعته :

بالمجّان ... بالمجّان ..

يطلب منه أحد الأطفال حلوى ، يمد يده إلى صندق صغير الحجم أمامه ، يخرجها وقد امتلأت بالحلوى ، يطلب منه أحد الأطفال حذاء ، يطلب آخر دراجة ، يسقط يديه الاثنتين إلى الصندوق ، يشهرهما وقد حمل بيد فردتى حذاء ، وبالأخرى : درّاجة ، ومن فمه يمتد الصوت ليصل كل عابر بعيد :

« بالمجّان ... بالمجّان ... »

يهتف الأولاد انبهارًا ، إن حجمها يفوق الصندوق أضعافًا ، وقد فعل هذا بأريحية من يفعل هذا طوال اليوم ... شاركتهم الانبهار للحظة ، غير أننى

Looloo www.looloolibrary.com

كرجـل ناضـج أدرك أن هـذا الصندوق ــ ولابد ــ مفتوح إلى مخزن بالأرض .

اخترقتُ دائرة الأطفال ببطء .. رمقنى بنظرة شك .. فسألته متأدبًا :

ــ من فضلك ..

نظر إلى زاهدًا ، ومنحنى عبارة تورية بمعنى « ارحل » :

ــ بالمجّان للأطفال ، لك ستدفع الضعف .

تعجبت من سلوكه ، تحسست الدولارات المحدودة بجيبى ، وإن لم أشتر ، سأستخدم حقى فى المشاهدة :

ــ أبحث عن شىء يناسب طفلاً وليدًا ..

وضع يده فى الصندوق دون أن يرفع نظرته المتشككة عنى ، ثم بسطها أمامى حاملاً سكّاتة :

ــ هل تريدها مع الطفل أم بدونه ؟

ــ ماذا ؟

لم أستوعب فى بادئ الأمر ثم أدركت أنه يمزح :

ــ لن تفرق كثيرًا ، ما لم يختلف السعر .

ــ دولاران ، يزيدان دولارًا واحدًا ، إن اتخذت الطفل .

لم يكن وجه شخص يمزح ، كان وجهه جادًا ، ولم يبد أنه يشعر بالارتياح لوجودى هنا ، ولا أدر لمَ ! هذا نوع من التعالى يمارسه معى ،

بالرغم من أننى الأعلى يدًا ، أنا الذى سأدفع ، وكنتُ قد قررتُ أن أدفع ، فقلتُ حاسمًا :

ــ احضر لى أيضًا شيئًا يناسب امرأة .

ــ هاك فستان إن اتخذته بدون المرأة سيكون بعشرة دولارات ، وإن أخذتها سيكون الضعف .

ــ وأهم شىء أن تحضر لى كاميرا ويب .

ــ هذه ستكون الأغلى .

ــ لا تحدّثنى عن النقود .

ــ مع المصورّ ، ستكلفك ثلاثين .

كل هذا فى إطار ميزانيتى للهدايا ، سوف أكمل الشراء من الأسوياء بالداخل ، أما الآن : من دون ود ، نقدته ما سأل ، وحملت الأشياء ومضيت ، غير أنى توقفت على بعد خطوتين ، استدرت إليه وأعليت الصوت :

ــ سيّدى المهرج ..

رفع وجهه متسائلاً ، فبادرته :

ــ لم أحصل على الملحقات مدفوعة الثمن .

ــ لا أخدعك ، تلك صفقة كاملة ، تلك صفقة عادلة .

أوليته ظهرى ومضيت .

* * *

أتذكر أشـياء غريبة دفعـة واحـدة .. لا تسألنى حلوة أم سيئة ...

Looloo www.looloolibrary.com

شيئًا مثل طعم القهوة ..

السجائر الرديئة ..

والحلوى المسروقة بعد نوم أمى ..

نقودى المغسولة فى جيب البنطال،

مكالمتى الغرامية الأولى من تحت الغطاء ...

أشعر بالدفء فى يناير وأشم رائحة البن المحمّص .. ويبدو أن حواسى تفى لما شبّت عليه ..

أنزلت الحقيبة إلى الأرض وبدأت بفتحها ، فأنزلت زوجتى صغيرى (محمد) فوق أريكة قريبة وجلست جوارى ..

فرّجتها ما قد ابتعت لها من داخل المهرجان ، كانت مجموعة كبيرة من الأثواب مختلفة الأذواق والألوان ، وقد أعجبتها جميعًا ، ولكن ما جعلها تصرخ انبهارًا كان ذاك الثوب الذى باعنى إياه المهرج .. نقشته التى تجعلك تظن أنه يحمل ألف لون فى ذات الوقت ، تفصيلته البسيطة المبهرة التى لا يمكن وصفها ما لم ترها بعينك ، أو تراها فى انعكاس عينيها الحبيبتين ، تلك اللمعة التى كانت تقول بوضوح : أن هذه هى الهدية التى تروقها ، وأن هكذا تكون الهدايا .

طوّقت عنقى ، ثم قامت لتجرّبه ، غير أن بكاء (محمد) أوقفها ، فمنحتها السكّاتة كذلك ، فضّت عبوّتها ووضعتها فى فمه ، ثم حملته معها إلى الداخل .

اتكأت إلى الأريكة فأشعلت سيجارة مبتهجًا ، هكذا يشعر رب الأسرة بالرضا عن نفسه ، هكذا يشعر بالسعادة أن تعبه قد تسبب فى إسعاد أسرته ، وفى تلك اللحظة ، كنت مستعدًا لدفع المزيد كى أرى من جديد سعادة زوجتى .

طلّت زوجتى وعلى ذراعيها (محمد) ، نور وجهه يخطف الأبصار عنها ويخفى أغلب ثوبها ، وضعت قبلة على جبينه ثم أنزلته إلى الأريكة جوارى ، أسرعت أطفئ السيجارة ، فرفعت ذقنى إليها بأناملها قائلة :

ــ يشبه أبيه .

بادلتها الابتسام قائلاً :

ــ أرينى الفستان ..

فابتعدت قليلا ثم راحت تدور وسط أطراف ثوبها المتطاير ، وقالت :

ــ ما رأيك ؟

ــ ثوب مدهش !

توقفت عن الدوران ، ونظرت فى عينى مليًا ، ثم جاءت تجلس فوق ساقى قائلة :

ــ المهم هو الحشو ، ألا ترى هذا معى ؟

كانت هذه إشارة لم يكن ليمكننى الانتظار بعدها دقيقة واحدة قبل أن أقبّلها ، ولكنى ما إن ملت أقبلها حتى سمعت صراخ الرضيع ، ابتعدت

www.looloolibrary.com

برأسى ، ونظرت إليه حيث يرقد ، كان يلتقم السكّاتة فى سكون فيما يتصاعد صوت بكائه لا أدرى من أين ، شتتنى الصوت الآتى من بعيد : إنها زوجتى على باب الغرفة تربّت على ظهر الرضيع الذى ينفطر من البكاء .

يختفى الثقل فجأة من فوق ساقى ، ومقعد الأريكة المجاور قد خلا ، وزوجتى تتعثر فى ذيل الثوب الجديد ، تضع الطفل ذى المخاط إلى جانب وتقول فى سخط :

ــ هكذا هو ، لا يقبل السكّاتة أبدًا ولا يكف عن البكاء !

ثم ترفع أطراف ثوبها بيديها وتقول :

ــ جيد ولكنه أطول من اللازم .. ألا ترى هذا معى ؟!

* * *

لم يخدعنى

ها قد حصلتُ على المرأة بداخل الفستان ، والطفل المصاحب للسكّاتة .. تكررت المشاهدات ، وقد كان لغرابتها لذة مصاحبة . وفى كل مرة كانت تبدو زوجتى لطيفة ومثالية ، وابنى نجيب ولامع ، كان يتضح أنهما الشبحان ، وليسا الأصل . وإن تكفل الاعتياد بمحو الغرابة ، فما بقى غير التلذذ بعزوة العائلة ، فأنا من ذاك الطراز من الرجال الذى يضع فى إعلان الزواج أنه يقدّس الحياة الزوجية .

لم يحبّا الظهور للآخرين فى غير مرات نادرة ، وبعد تجربة أو اثنتين فى الإفصاح عنهما لزوجة أو صديق ، قررت أن الإفصاح لن يجدى ، وأن أفضل شىء ، أن أحتفظ بالسر لنفسى ، غير أنى أعتقد أن الطفل كان يشعر بهما بشكل أو بآخر .

صرت أستطيع التمييز بينهما ، كانت مطيعة وحنونة ، تجيد الإغواء ، تحتوينى ولا تتصنع المشاكل ، تعرفون بالطبع أننى أتحدث عن الشبح ، هكذا صرتم تستطيعون التمييز مثلى .

لم أسأل نفسى « كيف » « وما » ، ولا أنا عرفت .

وحين حان موعد العودة وجلست زوجتى تبكى وتمسح المخاط بكمّها ، أغلقت حقيبتى وقمت إليها أضمّها إلى صدرى مؤكدًا :

ــ ستمر الأيام سريعًا ، وسنجتمع ، وحتى يحدث هذا أريدك أن تعلمى جيدًا أنى .. أحبك .

Looloo
www.looloolibrary.com

لم تنجح كلماتى إلا فى إثارة المزيد من الدمـــوع ، أما تلك ، فقـــد ألقت إلى نظرة عتاب ثم انزوت .. أحمل الحقيبة ، أشعر كل ثقل الغربة فوق أكتافى ، كنت تريد المال ، خذ مالاً كما تريد ، لكن لا تحدّثنى من فضلك عن المال الذى لا يشترى وجوه الأحباء .

فى المطار ، بدا لى أن زوجتى قد جاءت لتودعنى ، غير أنه بالتفكر لثانية .. علمت أنها ليست هى ، علمت أن غربتى قد اختلفت قليلاً ، وندرتُ حين أصل إلى أمريكا ، أن أذهب إلى المهرّج أفصح له عن ما تيسر من العرفان بالجميل .

لم يكن هناك ، والجيرة قالوا بأنه : « يأتى ويروح » ، مثل مزاجك الرائق ، مثل ذكرى أول حب ، مثل إشارة اتصال بالإنترنت تأتى وتروح ، فقلت أن يبلغوه السلام ، يقولون : « رجل يفر من الغربة على بعد أميال ، وقد صار يلعب معها الطاولة » ، يقولون : « يشكرك » .

ليس الأصل كالصورة ، ولكن الغربة لا تمنحك ترف الاختيار ، كما أن حسن العشرة تجبرك على السعادة .. لم تكن شبحًا ، كانت حورية من الجنة ، وابنى ، كاللؤلؤ المنثور .

غطت عينى بكفيها وقالت :

ــ من أنا ؟!

تمهلت لحظة أبحث عن إجابة ، ثم تناولت أناملها أقبلها ، وكأنى أعرف « من هى ! » .. أوسدتها ساقى كما تحب أن تجلس ، فقالت لى :

ــ هل أنت سعيد معى ؟

ــ بالتأكيد .

ــ ويسعدك أن ترى ابننا يكبر بيننا ؟

ــ نعم ، لمَ هذه الأسئلة ؟

ــ إذًا .. لا شك أنه سيسعدك وصول ابننا الجديد ..

هببت واقفًا ، فانتفضت من فوق ساقى تحاول ألا تقع ، طلبت منها أن تنتظرنى بالداخل ، وتغلق باب الغرفة عليها ، وهرعت إلى الكمبيوتر ..

للمرة الأولى أفكر فى معنى هذا ، للمرة الأولى أدرك بشاعة العواقب ، لى ابن من امرأة ليست زوجتى ، وفى الغالب أنها ليست امرأة .. هل تدرك زوجتى أننى أخونها ، أم أننى لا أخونها ... لا أفهم أى شىء ، لكن الوضع لا يمكن أن يكون مريحًا ، لا يمكن أن يكون مقبولاً ، ولا يمكن أن يكون أى شىء !

زوجتى ليست هنالك ، حنين غامر يجذبنى إليها ، طلبتها على الهاتف وكان أول ما قالته لى :

ــ أخيرًا تذكرتنى !

ــ أرجوك ادخلى إلى الإنترنت فورًا ، أحتاج أن أتكلم معكِ بشدة ، أحتاج أن أسمعك ، أحتاجك .. أحتاج أن أراكِ .

وفور ظهورها أونلاين بادرتُ بطلب الاتصال ، ولم أنطق أية كلمة ، كانت تمنعنى الدموع ، وإننى طراز الرجال الذى يبكى بالمناسبة ، هالها أن

www.looloolibrary.com

تسمع نحيبى فى أول محادثة بيننا منذ وصولى ، خشيتُ أن تكون قد ألمت بى مصيبة ، ولا تدرى بأنهما مصيبتان والثالثة فى الطريق ، ولا أحد يقول لى إنه لا يوجد رجل يبكى بالمناسبة .

حاولت مرارًا أن تستفسر عما وقع ، وكل ما استطعت أن أقوله من بين دموعى : « أوحشتنى ، أوحشتنى جدًا .. » ثم مسحت دموعى وتأهبت لكى أخبرها عن مهمة عاجلة ، ولكنى إذ أرفع رأسى وجدتها وقد أعملت الكاميرا ، وعلى حجرها الطفل ، صرختُ على الفور :

ـ يا للكارثة ! لماذا أعملتِها ؟ يا للكارثة !

امتقع وجهها الحبيب وقالت :

ـ أكارثة أنك ترانى وابنك ؟ لقد أردت أن أفرّج عنك وأهوّن عليك اشتياقــ ....

قاطعتها :

ـ لا يهم ، المهم الآن فورًا وعاجلاً اغلقى هذه الكاميرا واحرقيها مع الفستان والسكّاتة ..

ـ ماذا ؟

ـ أرجوكِ عاجلاً ليس هناك وقت للتفسير ، قومى بتكسيرهم بتمزيقهم بإحراقهم بالتخلص منهم بأى شكل ، بأى شكل !

ـ ولِمَ كل هذا !

بدأ يظهر من خلف الكادر رجل .. شدَه له نظرى دقيقة ، وفمى مفتوح أقول :

ـ هل معكِ أحد بالمنزل ؟

ـ أحد مثل من؟ إننى أنا و(محمد) فقط .

صرخت :

ـ إذًا فأسرعى نفذى ما قلتُ لكِ ، قلتُ لكِ لا وقت !

ـ حسنًا حسنًا ، فأى فستان تقصد ، لدى الكثير !

وكأن هذا من أجل أن يكسب وقت .. اقترب الرجل بتؤدة نحو مركز الكادر حتى صار خلف امرأتى تمامًا ، عينًا حاقدة ، جبينًا يقطر دمًا ، وذراعًا ملوية خلف الظهر .

ـ الذى أحضرته لكِ ، أسرعى ..

ـ أحضرتَ الكثير ...

أخبط رأسى بالطاولة :

ـ أسرعى أسرعى ..

تكاد تقم ، غير أن الرجل قد ثبتَها من كتفيها إلى المقعد ، أطلقَت صريخًا انتزع قلبى وألهب قلب (محمد) فأزاد الصريخ ، رحتُ أهدد وأتوعد بكلمات لست أعنيها ، وكل أعمى كان سيرى أننى أعجز من فأر ، أمسك

Loloo www.loloolibrary.com

الرجل شعر زوجتى فجذبه إليه رافعًا معه رأسها قليلاً لأعلى ، ووصلنى صوته عبر الأثير إذ يقول :

ــ هــذا مــن أجل صــورة جيدة ، والآن ، أرينى الابتسامة الحلوة ..

ثم أخرج يده من خلف ظهره حاملاً فأسًا يقطر دمًا ، بيديها الاثنتين تحتضن زوجتى (محمد) ، وبيديه الاثنتين يهوى بالفأس فوق رأسها ..

تخرج المرأة الشبح تترنح من الغرفة تجاهى وتردد بصوتها المبحوح عبارة :

ــ أقتلتها ؟

تخرج تمامًا من دائرة اهتمامى ، وحتى زوجتى الفعلية ليست ما يعنينى اللحظة ، فقــط عينى معلّقة بالكاميرا أنظر إلى ابنى (محمد) ... هل يؤذيه ؟

قطرة بقطرة تتساقط دماء أمه عليه ..

زفرة بزفرة تخرج روح أمه وأبيه ..

دع الطفل اليتيم الأبوين .

أعتقد أننى قد مِتُّ فى تلك اللحظة ، غير أنى لست واثقًا ، ربما مت دقائق ، ربما عشت سنين بعدها .. لكن ما أعرفه أننى فى تلك اللحظة قد ذقتُ الموت .

الغرفة الداخلية يرقد بها الطفل الشبح وحده ، المرأة الشبح ليست موجودة بالمنزل ، لو عاشت نظيرتها لعاشت ربما . لو كنتُ قد حصلت على تفسير لوجودها ، كنت لأهتم باختفائها . شىء واحد يعنينى فى هذه اللحظة ، شىء وحيد يعنينى من العالم بأسره ، وهو الشىء الذى يزعجنى من فكرة الموت :

ما كان يجب أن أموت ، قبل مقابلة ذاك البهلوان .

أمسك بتلابيبه ، يبدو بين يدى هزيلاً واهنًا :

ــ زوجتى ماتت .

ــ وما شأنى ؟

غير أنه يناطح كثور مهزوم .

ــ ما المشكلة مع بضاعتك ؟

ــ وما شأنك ؟

أخرج السكين من طيات ملابسى ، واغرسه فورًا فى البطن :

ــ محض فضول !

يتلــوى فى ألم ، يصــرخ كالأطفــال ، ويصرخ الأطفــال ، أتركــه وأركض أركض حتى أســقط مــن التعب . لن يأتى ويروح بعد هــذا ، سيروح فقط .

Looloo
www.looloolibrary.com

أقبع حينًا فى المنزل ، أتابع الأخبار عبر الصحف ، المهرّج غريب الأطوار فى العناية المركزة ، وبشهامة الثعالب لا يدلى عن أوصاف للقاتل ، يدّعى أنه كان يجلو سكينًا من بضاعته ، فأصابه .

* * *

ــ أشكرك .

ــ أبلغونى ذات مرة ، أن رجلاً بأوصافك يشكرنى ، ثم جاء ليقتلنى .

ــ هذه المرة ، قد جاء ليشكرك ويقتلك فى نفس الوقت .

ــ هل تقايضنى حياتى ، مقابل إجابة أسئلتك ؟

ــ ومن أدرانى أنك تقول الحقيقة؟

ــ جرّبتنى .. لا أخدعك ، تلك صفقة كاملة ، تلك صفقة عادلة ..

ــ لماذا قتلت زوجتى ؟

ــ لا أضمن سلامة كل المنتجات .. عدّها بضاعة معيوبة ، مثل أكلة مسمومة ، أو سلاح فاسد .. كل مصنع يتوقع فى إنتاجيته نسبة من الفاقد ، ولا تنس أن المرأة داخل الفستان ، والطفل المصاحب للسكّاتة ، كانا مما يروقانك .

ــ كيف عرفت ؟

ــ من خبرتى بالبيع والشراء .. زوجة طيبة وولد لطيف ، ستكون نظائرهم كذلك .

ــ من أين حصلت على بضائعك المريبة؟

ــ أنا مندوب مبيعات ، أتعامل مع سادة العالم السفلى ، لا أظنك تعرفهم ، وليس من صالحك أن تعرفهم . أسوّق لهم منتجاتهم ، وأحصل على نسبة بالمقابل .

ــ وما مصلحتكم فى تسويق قاتل ؟

ــ أنا سأجنى المال ، وهم ، يحصدون الأرواح .

ــ أكل هذا الدم فى عنقك من أجل حفنة دولارات ؟

ــ أرجوك ألا تفكّر هكذا ، إننى أتعامل بالعمولة ، عن كل روح .

ــ وهل تتوقع أن يبرد حديثك نارى وينسينى القصاص ؟

ــ لم يعد بوسعك ، كان يفترض أن تقتلنى ، غير أنك اخترت الصفقة .

ــ فليكن سؤالى الأخير : لماذا أخفيت هويتى وأنقذت حياتى ؟

ــ لأنه ، بعدما تموت أول مرة ، لا يمكنك الموت ثانية .

ــ هل أنا ... .؟

ــ كلنا .

* * *

فى المهرجان يتوسط المهرّج العجوز الأطفال ، مدللاً على بضاعته : « بالمجّان ، بالمجّان .. »

Looloo
www.looloolibrary.com

فيما يرمق ببغض مراهقًا بعمر الثالثة عشرة يخترق الأطفال قاصدًا الصندوق أمامه ، وفى خفّة يدس يده فى الصندوق فيخرجها حاملةً علبة بحجم الكف :

ـ هل هذا نوع من السجائر ، أيها المهرج اللطيف ؟

ـ إنها علبة سجائر من الخارج رديئة الصنع ، تأخذها ومعها الأب .

ـ وهل تمنحها بالمجّان ؟

يرمقه بنظرة عداء ، ويقول بتحدٍّ :

ـ للأطفال بالمجّان ، لك ستكون الضعف .

وفى لمح البصر ، يظهر توأمه على محيط الدائرة ، فيناديه يستجلب انتباهه :

« (محمد) ، التقط هذه » ..

ويقذف له بالعلبة من فوق الصندوق والأطفال المتجمعين ، يعيدها له (محمد) ، ويتقاذفانها ضاحكين ، فيما يركض العجوز بينهما مرة إلى اليسار ومرة إلى اليمين ، فى مشهد أرسل ضحكات الأطفال إلى السماء ، وأبهج قلوبهم ، قبل أن يضعها الفتى فى جيبه ويصفّر لتوأمه أن يتبعه ، ويركضا خارجين .

* * *

3

حيـن انتهى (يامن) مـن حكايته كان الجميع فى وجوم ، ثم قالت (منال) بصوت خفيض :

ـ يسوءنى ما حدث لزوجتك ..

ـ لا بأس ، إننى بخير ..

تدخل (عادل) بدون لياقة :

ـ وما معنى أنك بخير .. هل أنت ميت أم لا ؟

ـ لو أحدكم يعرف يخبرنى!

يعلو صوت (عادل) :

ـ ولماذا هذه الألاعيب !

ـ احفظ لسانك ، لماذا تتعصّب على هكذا ؟

يهدئ (عادل) من نبرته :

ـ الأولى تقول « أحتفظ لنفسى » والثانى « لا أدرى » ... هذا يخالف قواعد الحكى يا رفاق !

ـ فلتحكِ لنا أنت ، وأرنا كيف تكون النهايات ..

ـ أفضل أن أبقى للنهاية ، فإن حكايتى لن تحتملها قلوب هاتيه العذراوات الفاتنات ..

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم تساءل شاردًا :

ــ ترى كم الساعة الآن ؟

نظرت (منال) إلى الساعة المعلقة فوق مكتب الكاشير على البعد ، وقالت :

ــ الساعة أمامك ، إنها تقترب من الحادية عشر !

انتبهت حواسى للرقم ، هل سأبيت بالخارج ، فقط لأنى لا أجد من يسألنى لماذا لا أعود؟ كنتُ أفكر فى العودة ، غير أن كلمات (بشير) شوّقتنى للمزيد ، كان يقول :

ــ ليس ما يشغلنى إن كان حيًّا أو ميتًا .. لكن قصته قد أوضحت لى الكثير ، ويبدو أن السهرة ليست بالسوء الذى ظننتها عليه .

فسألته :

ــ وما الذى أوضحته لك ؟

ــ لقد وجدتُ مبررًا منطقيًّا لهذا الذى وقع لى ... هل فكّر أحدكم للحظة : ما الذى يمكن أن يفعله قاتل حر عبر الإنترنت ؟

* * *

إصبع التحذير

Looloo
www.looloolibrary.com

حكاية (بشير) :

عن أشياء سأقصّها حالاً ..

المشكلة حين لا تكون على علم بقواعد اللعبة .. أنت تلعب وتظن أن القواعد الطبيعية تسرى غير أنها ليست كذلك ، لم ينبهك أحد إلى هذا ، تشعر أنك مغبون حقك ، لم يمنحوك القوانين ، ولو كانوا وفروا لك ظروف لعب عادلة ، لأريتهم كيف يكون اللعب .

تسألون عن معنى هذا ؟

سأختصر ..

لا أحب الكلام الكثير .

أول مرة رأيت فيها الشبح كنت جالسًا أتحدث مع فتاة عبر الكاميرا لأغراض ليس لها علاقة بالحب وإنما بأشياء دنيئة ، تفهموننى ، هناك فتيات لن يمكننى أن أوضّح أكثر . على كل حال ، لم نفعل شيئًا فقد جاء الشبح من خلف الفتاة بأوصافه التى ذكرها من حكى قبلى .

فتحت فمى وكدت أصرخ أنبهها ، غير أنه رفع إصبعًا أمام فمه محذّرًا ، وراح يداعب خصلات شعرها بنصل فأسه ، فيما تشعر هى بتيار هواء لا تدرى من أين ..

أفلتت صرختى تنبهها :

ــ خلفك ! إنه خلفك ! اهربى !

غير أنه وقبل أن تلتفت قد رفع فأسه إلى رأسها يكسّرها . فيما شفاهه تنطق بعبارة لم أستطع سماعها ، جذبتُ الكاميرا أفصلها وجلست ألهث بعض الحين .

لنتفق ..

لست أنا ذاك الفتى المرهف الذى سينزوى أو يعتزل الحياة لأنه شاهد امرأة تُقتل ، قلتُ لكم أننى لم أحب ، حسنًا ، لقد أحببت مرة وحينها علمتُ أننى لا يجب أن أحب ، لأن الحياة حين تقسو وأنت بدون حبيب أفضل مائة مرة منها حين يقسو عليك الحبيب . عدت أمارس حياتى كما اعتدتها ، ومرت بسلام عدة مرات ، غير أنى إذ أعمل الكاميرا مع إحداهن ، ومن قبل أن تخلع أية قطعة ملابس ظهر شبح آخر لا أدرى من أين ، كانت له ملامح مختلفة وإن اتفق فى الدماء المتخثرة على رأسه ، والفأس بيده ، ثم لوّح بإصبع التحذير أمام وجهى ، أو أنه سيقتلها حيث رسم بيده سكينًا تحت عنقه ، هذه المرة التزمتُ الصمت تمامًا ، فيما تردد تلك الثرثارة :

ــ هل أعجبك فستانى الأسود ، وعندى شامة فوق شفاهى ههنا .. هل ترى !

Looloo
www.looloolibrary.com

هززت رأسى فى خشوع ، فتفوهت بالمزيد :

ــ وشعرى ، صبغته خصيصًا بالأصفر ، إنه يتطاير فى الهواء هكذا ، وهكذا !

وإذ تداعب شعرها بيدها اصطدمت بنصل الفأس الذى كان يمشط شعرها ، فأطلقتْ صريخًا مروّعًا أما أنا فقد كتمت فمى بيدى التزامًا للصمت ، غير أن هذا لم يغير من النتيجة ، فقد رفع الفأس إلى أعلى وأنزله منغرسًا برأسها ، كانت شفاهه تتحرك لكنى لم أميّز ، ولا يعنينى أن أميّز ، ما يقول . تركت الغرفة كلها ورحت أركض بالشوارع ملتاعًا أصرخ وأتلفت حولى وهذه الأشياء كلها ، أنتم تعلمون .

من حقى ..

لستُ حجرًا برغم كل شىء !

هذه المرة اعتزلت الإنترنت فترة لا بأس بها ، غير أننى عدت أحتاج ثانية إلى ... ما تعرفونه ، هكذا أوجدتُ لنفسى العذر ، وهذه المرة لم أرَ أية أشباح . أشرق وجهى واستعددت لقضاء أمسية ممتعة ، غير أن الفتاة كانت تصرخ كالملتاعة :

ــ خلفك ، انظر خلفك !

وإذ أنظر خلفى كان شبح امرأة فى ثوب أسود ، ذات شامة فوق شفاهها ، ومن فوق شعرها الأصفر تنسال الدماء ، رفعت الفأس لأعلى فيما تردد عبارة :

ــ لماذا لم تحذّرنى ؟

فتحت فمى أجيب غير أنى ابتلعت الدماء . لماذا تسأل إن كانت لا تنتظر إجابة ؟ هذا ما يعصّبنى !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

4

انتهى (بشير) من قصته وجلس ساكنًا ، فقلت له :

ــ الحقيقة يا (بشير) أنك لفت نظرى إلى أمر هام .

ــ وما هو ؟

ــ أن هؤلاء عصبة من الرفاق الثرثارين .

ضحك (يامن) :

ــ هذا لأنه لم يقل شيئًا سوى « تفهموننى » ، و« أنتم تعرفون » !

نظر إليه (بشير) مستغربًا :

ــ أولك مزاج للضحك ؟ مثلك يجب أن يشعر بالخزى ، أنت الذى أطلقت القاتل الحر إلى الإنترنت .

ــ وما شأنى ! كانت خطة من سادة العالم السفلى ، وبى أو بدونى كان سيتم تمرير كاميرا الويب الفاسدة والقاتل معها ، لأنه بالنهاية ، رغباتهم تسرى .

سألت (مايا) (بشير) وقد بدا أنها للآن لا تعى معنى هذا :

ــ هل تعنى أنك ميت ؟

ــ إن لم أكن ميتًا ، فما معنى هذا الذى ذكرته ، لا أحب الأغبياء .

ــ ولماذا لم تستدع ذكاءك حينها ، أيها العبقرى ، لتنجو من قاتلتك ، ولا تأنسنا هنا ؟

بسط يديه فى حسرة :

ــ لقد فعلتُ ما طلبه منى ذو الفأس ، امتنعت عن تحذير الضحية ، فلم ألقَ المتوقع ، وقتلها أيضًا ، وما اختلف شىء غير أنها تحررت وعادت لتظهر من خلفى طالبة القصاص ، معطيةً لآخر الاختيار من جديد ، فإما يحذّر الضحية وينجو بذاته ، أو لا يحذّرها فتعود تقتص منه ، ولكنها فى الحالتين سوف تموت على يد ذى الفأس .. ما كانت حيلتى !؟

ثم صمت .. مسحتُ وجهى بكفى :

ــ هذا غير عادل ...

لقد ذكرتنى بنفسى .. طوال الوقت أبذل جهدى وأفعل المطلوب منى ، أتجاوز أية مشكلات ، أقف حائط صد أمام العقبات والأزمات ، وأتوقع حصادًا بالنهاية ، فلا أجد أى شىء .

ما المشكلة ؟

أين الثغرة ؟

ليس هناك أحد ليجيبك .

Looloo
www.looloolibrary.com

إذًا هل أمضى ؟

هل أتراجـــع ؟

لماذا لا تكن صلدًا وتتخذ قراراتك بنفسك ؟

ليس هناك أحد بالعالم متفرغ لك ..

هل نسيت أنك وحدك !!؟

وكنتُ قد عرفتُ ما سأحكيه .

* * *

خبـــر ســـار

Looloo
www.looloolibrary.com

حكاية (ليلى) :

عن الشروط غير العادلة للحياة ،

وحبيب تحبه أنت ويتزوجه غيرك ،

ونصيب تركض منه فيركض خلفك .

ليس الحب عيبًا ..

ليس حـــرجًا ..

كى لا أقول : إنه نقطة ضعفى الدائمة .

ما حدث أننى كنت واهنة جدًا ، ولو علمت أن خبرًا سارًا على بعد مائة ميل لركضت إليه ، الحزن يجعل منا وحوشًا جائعة للسعادة وإن وهمًا .. لم يكن مستبعدًا أن أبدأ طريق الإدمان فى تلك الليلة لو كنتُ وجدتُ رفيق سوء يدلنى ، ولو أملك الطاقة لمغادرة الفراش ، لربما كنت انتحرت ..

هذا إحساس لم يمر على من قبل ، ولا أتمناه لأحد منكم ، أنا التى خبرت كل ألوان الحب وعذابه ، لم أتوقع مثل هذا الألم فى غيـــر سكرات المـــوت للمحتضرين ، غير أن هؤلاء يرتاحوا أخيرًا ، فلماذا ... قل لى ، بربك : لماذا لا أموت ؟

أمى تنادى للطعام ..

« أهكذا ..؟ »

أختى تنادى للمسلسل ..

« أهكذا يا (سامى) ؟!! »

لقـــد فعلتُ ما كـــان بوسعى ، لكنه ، لم يكن لى . أقم إلى الحاسب أتفقد الرســـائل القديمة ، الصـــور ، الأمنيات .. حتى الذكريات الحلوة ، تستحيل

www.looloolibrary.com

طعنات غـدر بظهـرى ، لو كنتُ أعلم ... لا أجزم ما كنتُ أفعل لو كنتُ أعلم .. على الأقل ، ما كنتُ أكثرتُ من الذكريات ..

تصلنى رسالة جديدة ، ذات عنـوان يحض على البهجة : « انشرها وستسمع خبرًا سارًّا .. »

هاه ! حقًّا !

وبنص الرسالة بعض الأذكار مصحوبة بعبارة :

« مرر هذه الرسالة إلى ثلاثة أشخاص ، وسوف تسمع خبرًا سارًّا فى مدى ثلاثة أيام ، لأن هناك امرأة صالحة رأت رؤية أن الذى ينشر هذه الرسالة سوف يفرح فرحًا شديدًا ، وهناك أخت نشرتها فجنت أرباحًا كثيرة من تجارتها فى اليوم الثانى ، وهناك أخ تجاهلها فوقع له حادث مريع وأصابه بإصابات خطيرة . »

خبر سار !

يا ليـت !

قمت بتمرير الرسالة إلى صديقتى (مشيرة) ، و(عصمت) .. أما الاسم الثالث ، فلم أجد غير (سامى) !

(سامى) .. إن ذكر اسمه وحده يدعونى للبكاء .. وإننى لا أدرى كيف ستمر على الأيام الثلاث ، قبل أن أسمع الخبر السار ، الذى لا يوجد غيره خبرًا سارًّا بالنسبة لى ، وهو عودة (سامى) لى .

ينهكنى البكـاء ، فيسلمنى إلى رحمة الموت الصغير . أرى فى المنام أن امرأة لا أعرف شكلها قد ماتت ، ولكننى ــ فى الحلم ــ أُعلِمتُ بأنها زوجة (سامى) .

أفيق على رنين هاتف .. أجيب على الفور :

ــ (مشيرة) ، هل لديك خبر سار ؟

ــ أى خبر يا (ليلى) ، صباح الخير أولاً ..

ــ صباح الــ ... ليست هناك أخبار عن (سامى) ؟

تتمهل قليلاً :

ــ لا زال فى شهر العسل ، لا جديد .

ــ إذًا لماذا تتحدثين؟ لا أريد أحدًا أن يحدّثنى ما لم يجلب لى خبرًا سارًّا عن (سامى) ، أبلغى هذا لــ (عصمت) .

ثم أغلق الخط . لحظات وأبدأ أنتبه للحلم ... هل حقًّا يمكن أن يكون الخبر سارًّا إلى هذا الحد؟

على الفـراش ، أتوسـط كنـوزى الصغيرة مـن الهدايا ، أشياء لم يكن لها ملمس الشوك فيما سبق ، ولا نكهة الخيانة . أمسك الهاتف وأكتب رسالة .. أعيد صياغتها مرات عديدة ، ساعات طويلة .. ألقى عليها نظرة أخيرة :

« أهكذا يا (سامى) ؟ »

Looloo
www.looloolibrary.com

أمسحها وأدفن رأسى فى الوسادة . يصلنى صوت أمى من خلف الباب :

« أهلاً وسهلاً ، تفضلا ، إنها فى غرفتها لم تغادرها منذ أسبوعين ، ليتكما تستطيعا أن تخرجاها » ..

على الباب تطل (مشيرة) ومن خلفها (عصمت) ، تسرع (مشيرة) باتجاهى فأرتمى فى حضنها أبكى :

ــ أرأيتِ يا (مشيرة) ! أرأيتِ ماذا فعل بى يا (مشيرة) !

تربّت على كتفى فيما تهتف (عصمت) :

ــ الجبان ! سوف أنتقم لكِ منه .

ــ لا يا (عصمت) ما الذى تقولين؟ لا تنسى أننى أحبه .

ــ تحبينـــه ، لا تحبينـــه ، إن لم أنتقمـــن لكِ منـــه فلأقتـــل أو أشنق !

تقاطعها (مشيرة) :

ــ صه يا (عصـــمت) .. إنها لا ينقصها هـــذا ، صحيح يا (ليلى) ، ما هذه الرسالة التى أرسلتها بالأمس ؟

ــ ما لها ! أتطلع إلى الخبر السار ..

ــ ومنذ متى تصدّقين هذه الترهات يا (ليلى) ، ألم تكونى تضجرين من تلك الرسائل المبتذلة؟ أخبركِ شيئًا ، الذى يبحث عن السعادة يطلبها من الله .

ــ الله يسبب الأسباب ، والذى يده فى الماء ليس كالذى يده فى النار يا (مشيرة) .

تتدخل (عصمت) :

ــ أنا التى ستجلب لكِ الخبر السار يا (ليلى) .

ولو جلبه لى الشيطان ذاته لن أهتم ، ما يهمنى هو الخبر السار .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

مر اليوم الأول من دون أنباء (سارة) ، لكن هذا لم يدعونى للقلق ، وإنما قصّر على الطريق للفرح بحيث حصره فى يومين لا ثلاثة ، ولم أكن أتوقع أن يأتنى النبأ السار من أول يوم ، على كل حال .

لكننى بنهاية اليوم الثانى كانت أعصابى مشدودة بأكثر مما يحتمله قلبى المحب لـ (سامى) ، وكنت أنتفض مع كل مكالمة هاتف قبل أن أدرك أنها من أشخاص لا يعرفونه ، من ثم أنام كمدًا .

صباحًا ، جلست أتفحص حسابه على فيس بوك ، لا زال لم يغير حالته الاجتماعية إلى « متزوج » ..

هه ! وهل يعنى هذا أنه لم يتزوج ؟

بل يعنى أنه متزوج ومشغول جدًا مع عروسه ، ولا يشغل أى حيّز من تفكيره أن يقتطع بعضًا من صحبتها لكى يدلف إلى فيس بوك ويغير حالته إلى « متزوج » ..

فإن الدخول إلى الإنترنت وتصفح برفايل الحبيب عن بعد ليس للهانئين أمثاله ، فليدع كل لاختصاصه .

طلبتنى (مشيرة) ، وصاحت مباشرة :

ــ الحقى بـ (عصمت) يا (ليلى) ، إننى لا أقدر عليها .

ــ وما بها ؟

ــ اتصلت بصحفية زميلة لها فى المجلة التى يعمل بها (سامى) ، وادّعت أنها تريد مقابلته لتعرض موهبتها ، غير أنى متأكدة أنها تزمع قتله ، وقد علمتْ أنه سيحضر اليوم من السفر ، وسيكون فى مقر المجلة فى الثامنة مساء .

ــ يا للكارثة ! يا للكارثة ! لن تقتله يا (مشيرة) ، سيموت وحده ، هكذا أنا ، هكذا حظى دائمًا !

ــ ما الذى تقولينه ؟

ــ أعرف أننى نحس ، أعرف أننى لم تتحقق لى أمنية من دون كارثة طوال حياتى ، هل تذكرين ما وقع لنا عند بئر الأمنيات(*) . الذى يحدث يا (مشيرة) أن الخبر السار سيقع ولكن معه خبر مفجع ، لماذا يعود (سامى) اليوم بالذات قبل نهاية ثلاثة الأيام ؟ ستنقلب السيارة وتموت زوجته ويموت معها حبيبى .. دبّرينى يا (مشيرة) .. ما الذى أفعله يا (مشيرة) .. دبّرينى ...

اهدئى يا (ليلى) ، اهدئى ، سنظل على تواصل مع المجلة حتى نطمئن إلى وصول (سامى) ، المهم الآن أن تحضرى لتمنعى (عصمت) .

* * *

أطول لحظات من القلق قضيتها بمنزل (عصمت) ، وقد أرجأت فكرتها عن القتل عندما رأت يقينى بوقوع الحادثة ، فهى لن تقتل رجلاً ميتًا .

(*) المزيد عن هذا برواية أمنيات أبدية العدد الثالث .

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم وصلتها مكالمة من زميلتها تؤكد لها أن (سامى) قد حضر ، تعبس (عصمت) فيما يبش وجه (مشيرة) وتحضننى مباشرة :

ــ مبروك يا (ليلى) ، ها قد وصل سالمًا !

لا أستوعب ما تقول :

ــ هل تقولين أنه لم يمت ؟

ــ نعم ، إنه بخير ..

ألهث بالحمد وتتساقط الدموع من عينى .. ثم أنتبه لشىء آخر :

ــ وهى ؟

ترتبك (مشيرة) :

ــ لابد أنها بخير أيضًا ، لو لم تكن كذلك لما استطاع الذهاب للعمل .

ــ أنا التى أحببته طوال العمر ، وهى التى صارت زوجته فى لحظة ، متى عرفها وأين يا (مشيرة) وكيف !؟

تنهمر الدموع فتحتوينى (مشيرة) بين ذراعيها ، وتنسل (عصمت) من بيننا فى صمت .. لحظات من البكاء لا أعى فيها شيئًا ، ثم أنتبه فأنتفض منادية :

ــ (عصمت) ! يا (عصمت) !

أسمع دبيبها على السلم ، فأسارع و(مشيرة) من خلفها !

ــ (عصمت) ! أيتها المجنونة ! توقفى .

نلحق بها عند مدخل العمارة ، أجذبها من ذراعها فتستدير ، يهالنى السكين بيمينها .. أمسك يدها أقبّلها :

ــ أرجوكِ يا (عصمت) ، ليس هكذا .. إننى أحبه .

ــ وأنا لا يسعنى أن أراكِ هكذا !

ــ أنت تؤذيننى وتؤذين نفسك .. امنحينى السكين ، أرجوكِ ..

تلين قبضتها فألتقط السكين :

ــ كان هذا من أجلك يا (ليلى) ، كنتُ أضحى بذاتى من أجلك ، لكنك لا تريدين هذا ، فإن اهتممت لأمرك بعدها فلأقتل أو أشنق .

ثم تتركنى وتصعد ، أتوجه بالحديث لـ (مشيرة) :

ــ اصعدى خلفها يا (مشيرة) ، هدئيها ، افهميها أننى أخشى عليها كما أخشى على (سامى) .. إنكما صديقتاى ، ليس لى غيركما .. اصعدى ..

ــ وأنت يا (ليلى) ..

ــ أنا بحاجة للراحة ... سأذهب للنوم .

أخرج إلى الطريق ، أى شارع سيقع تحت قدمى سأمشيه ، فى حال مزرية ، الأطفال تنظر لى فى مهابة ، الليل شارف أن ينتهى ، وليس

Looloo www.looloolibrary.com

وجهى وجه من حصل على بادرة نبأ عن شىء يسرنى ، فتيات يتجمعن ويشرن إلى ، لم يعد من أمل يخدعنى بالانتظار . شاب يتفحصنى من أسفل إلى أعلى ، هل هناك شىء خطأ بملابسى ، هل نسيتُ أن أقفل السحّاب !؟ أنظر فأجد ثمة سكينًا بين أصابعى ، وقد عزمتُ لئن لم أسمع الخبر السار لأصنعه بنفسى . تدور عينى يمنة ويسرة ، أدسه فى الحقيبة وأشير لتاكسى .

* * *

أضرب الجرس ، ثم أتسلى بطرق الباب طرقات رتيبة ريثما تفتح . يطل الغباء من عينها حين ترانى ، تبدو مختلفة عمّا رأيتها عليه فى المنام ، فأبادرها :

ــ إنكِ أحلى من الحلم .

ظنتها مجاملة ، فابتسمت فى بلاهة :

أشكرك .. ولكن ، من أنتِ ؟

ترتسم على وجهى دهشة جادة :

ــ بل من أنتِ ؟

أزيحها وأدخل إلى المنزل :

ــ أنا صاحبة هذا المكان .

ــ ما معنى هذا ؟

أبسط يدى مشيرة إلى الجدران :

ــ هذه الألوان أنا اخترتها .

أشير إلى الأرض :

ــ لون السيراميك كذلك من اختيارى ، وحتى طقم الحمّام الكافيه اختلفنا عليه وبالنهاية نفّذ رغبتى ، قلت له أن يدع شئون المرأة للمرأة ، فهو لن يضاهى ذوقى العالى ، فضحك وقال : « وأنا أثق بذوقك الذى اختارنى » ، كان يريده أخضر بستاج ، تصورى !

يظلم وجهها بالفهم :

ــ هل أنتِ خطيبته السابقة ؟

ــ أنا ؟

أتخذ مقعدًا وأضع ساقًا فوق ساق :

ــ أنا حب العمر الذى سيظل لآخر عمرى وعمره وعمركِ أنتِ . أنا الغائبة التى يؤجج غيابها حضورها فى قلبه بينما يمكث فى حضنكِ أنتِ . أنا الحبيبة التى كان ينسى اسمه بين ذراعيها ، فهل يذكركِ أنتِ ؟ أنا الصديقة التى كان يجلس إليها ويبوح بكل ما لن يحكيه لكِ أنتِ ، أنا الحقيقة التى لن تمحوها كذبة ، أنا الأصل الذى لا تشبهه صورة ، أنا المرأة التى لن تعوضها نساء الكون ، بما فيهم أنتِ .

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم أبتسم كالأشرار :

ــ فمن أنتِ ؟

تسقط فوق مقعد وتنهنه بالبكاء :

ــ أنا أعرف أنه لم يحبنى ، ولكننى أنا زوجته ، وسوف يأتى اليوم الذى يحبنى كما أحبه ويعوّضنى كل ما حُرِمته من مشاعره بسببك أنتِ .

تمسح عينها وأنفها وتتجه للباب تفتحه قائلة :

ــ والآن ، تفضلى .

أقف ، أتجه إلى الباب أغلقه ، ثم أستدير وقد أخرجت السكين من حقيبتى ، ترمقنى لحظة بأعين متسعة ، قبل أن أنقض عليها .

تطلق صريخًا ، تنجح محاولتها فى التملص وتركض إلى الباب ، لكنى أجذبها من شعرها ، أسقطها أرضًا ، وأرفع السكين إلى قلبها ، تدفع يدى بيدها وتنهض تدفعنى من فوقها .

تركض إلى الداخل ، أتبعها مشهرة السكين ، فتبادرنى بفازة تتكسر فوق رأسى . أتكوم أرضًا . تتناول السكين وتطعننى فى بطنى ، فى صدرى ، فى قلبى ، لكن الغريب أننى لا أشعر ألمًا ، بل صدّقونى حين أقول : أشعر ألمى أخيرًا قد شفى .

رنين جرس الباب ، لابد أن الصراخ قـد استجلب بعض الفضوليين ، تضبط هندامها ، تخرج إليهم :

ــ أوه ! شكرًا لكم .. أمر بسيط ، سقطت من فوق السرير .

تجذبنى من شعرى ، تتوقف ، تنظر فى عينى :

ــ هل أنتِ سعيدة الآن أيتها الحقودة ؟

بالطبع لا ، لقد فعلتُ ما كان بوسعى ، مع هذا ، لم أقتلك . تتابع الجرجرة حتى تلقى بى تحت السرير . تنظف الأرض ، ترتب الغرفة ، تأخذ حمامًا ، تتزين ، وتجلس تضع المانكير .

تستقبل (سامى) بقبلة :

ــ أوحشتنى .

ــ وأنتِ أيضًا .

ــ هل كان ضروريًا أن تتركنى وتذهب للعمل ؟

ــ ألم نتحدث عن هذا سابقًا .

تساعده على إبدال ملابسه ، ثم تجذبه من يده وتجلسه على السرير . تتدلى أرجلهما أمام وجهى ، تتأرجح ساقها فى سعادة :

ــ عندى لك خبر سار !

تلف ساقيه باتجاهها ، ويقول :

ــ خيرًا ...

Looloo
www.looloolibrary.com

تتحرك قدميها لتقف بالضبط بين ساقيه وتقول :

ــ أنا حامل !

لقد فعلتُ ما بوسعى لسماع الخبر السار الذى أنبؤنى عنه ، المشكلة .. لم يخبرونى : بالنسبة لمن !

* * *

5

لأول مرة يبتسم ثغر (بشير) :

ــ هاهاها ! تحت السرير؟ هاهاها ! عار عليكِ !

نظرتُ إليه شذرًا :

ــ هل أعجبتك الميتة ؟

ــ ميتة طريفــة .. هاهاها ... هــذا يذكرنى بصديق مات بحادثة توك توك ، كان يخشى من ذكر هذا ويدّعى دومًا أنه مات دهسًا بمرسيدس .

يتدخل (عادل) بجدية :

ــ هل تقولين أنكِ ميتة ؟

أشير إلى (بشير) دون أن ألتفت إليه :

ــ بأكثر منه .

تقول (سارة) برقة وبصوتها الهامس :

ــ لا تحزنى يا (ليلى) ، لو كنتِ فعلتِ كل شىء من أجل أن تحافظى على حبك فتخلى عنكِ ، فإن جهدك فى هذه الدنيا لن يضيع هباءً ، ستجدينه مشكورًا مع حب آخر ، بالعالم الآخر .

انصتى لى ..

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

من أجلك يا سارة

حكاية (سارة) :

عن شخص لا يستحق الموت ..

وشخص لا يستحق الحيـــاة ..

وقدر لن تعجبـــه فلسفتك !

Looloo
www.looloolibrary.com

فى الخلفية ، بصوت خفيض :

(محمد) ! يا (محمد) !!

« ما اسمك يا (محمد) » ؟

« نسيت اسمى يا (سارة) » .

« أنا سأذكرك بتاريخك كله » .

* * *

جنّوا !

أو قل أصابتهم لوثة !

يتصلبون أمام حواسبهم

يوصلون الليل بالنهار

وفى سهرهم المستمر

لا ينطقون إلا اسمى : (سارة)

يتساءلون : من هى (سارة) ؟

* * *

فى الخلفية بصوت هامس :

(كريم) ! يا (كريم) !!

« امنحنى تذكارًا يا (كريم) » .

« عيونى يا (سارة) » .

« لا بأس ، هاتها » .

* * *

لُوثوا !

أو قل نادتهم النداهة !

ينتحرون ويُفقَدون ويُقتلون الواحد تلو الآخر

الرأس المتدلى فوق الكيبورد

أو التردى من نافذة الغرفة

أو الغرق بالبانيو

أو شىء ما

ولكنهم فى نزاعهم الأخير

يهذون باسمى : (سارة)

لا يعرفون ما تفعل بهم (سارة) !

* * *

Looloo www.looloolibrary.com

فى الخلفية ، بصوت لعوب :

(عاطف) ! يا (عاطف) !!

« أعجبك الأحمر يا (عاطف) » ؟

« لون خدودك يا (سارة) » .

« لون دمك » .

* * *

كل منّا غرفة مغلقة ..

وفى غرفته المنزوية ، يتخذ (مالك) مقعدًا بعيدًا ، إلى حاسبٍ مُترب ، يرشف من قهوته المُرّة ويكتب :

« منذ ليال ثلاث يزورنى هاتف

ينادنى باسمك

يعشمنى بكِ

ويحذرنى منك

ولستُ خائف منك

ولا طامع بكِ

فقط أريد أن أخبرك

أنا أشعر بك يا (سارة)

أكاد أستشعر قلقك

غضبك

وجعك

فاعلمى أنى قريب يا (سارة)

« لستِ وحدك » .

يحصل على تعليقات من طراز :

« إنت وقعت وللا الهوا رماك » .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فى الخلفية ، بصوت ماجن :

(سامح) ! يا (سامح) !!

« أعجبك جسدى يا (سامح) » ؟

« أدار رأسى يا (سارة) » .

« فروحك مقابل جسدى » .

* * *

(فهد) ! يا (فهـــــد) !!

كل منّا غرفة مغلقة ..

وفى غرفته الصاخبة يكاد يسمع نداءً من بعيد ، يخفض من صوت السماعات لجزء من الثانية ، ثم يعيد رفع الصوت ؛ هو يعلم أن المنزل خال .

يجلس يدخن سيجارته ويتنفس دخانها ، يتجاهل رسائل الصديقة اللحوح التى لا تفهم أن دورها انتهى منذ تلك الليلة ، غير الصديقة العجوز التى لا تفهم أن دورها انتهى منذ عشرين سنة ، تضىء صفحته الزرقاء بإشعار جديد ، يحرك الماوس إليه ثم يفغر فاه :

« ويلى ! »

يضيف الحسناء ذات الرداء الأحمر إلى قائمة أصدقائه ، ويسرع بمحادثتها كالمشدوه :

ـ لماذا أنت جميلة هكذا ؟

ـ كى أعجب أمثالك .

ـ ولماذا شعرك ذهبى هكذا ؟

ـ ليلسع كالنار ، إذا ما انسل فوق كتفك .

ـ ولماذا قوامك ممشوق هكذا ؟

ـ ليوجع كالسوط إذا ما لامس جسدك .

ـ لماذا لا تأتى إلىّ ؟

ـ لأنك لا تستحقينى .

يخبط الحاسب آمرًا :

« تعالى » .

يطبع على حاسبه :

ـ أريدك . أريدك تدورين بين يدى كآنية من الفخار بين يدى صانعها . أريدك تحتكين بى مثل قطة بين قدمى صاحبها . أريدك أن تلعقى وجهى ، أريدك أن تلطمى خدى ، وإذا ما اشتد توقك ، أريدك أن تخمشى ظهرى . أريدك أن تميلى فوقى مثل قطفة دانية من غصن بالجنة . س

ـ شيطان ، تتحدث عن الجنة ! أنت الآن تستحقنى .

ـ تعالى إلىّ .

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ عمّا قريب ؟

ـ بل الآن يا (سارة) .

ـ قلتُ لك عمّا قريب .

ـ إذًا أرسلى لى صورًا تؤانسنى حتى تأذنى بلقائى ..

ـ أتريد صورة الثوب النارى ، أم السماوى ، أم ....

ـ ليس هذا ما أريده ..

ـ وأنا أعرف ما تريد ، عندى مجموعة ستعجبك .

* * *

فى الخلفية بصوت متغنج :

(فؤاد) ! يا (فؤاد) !!

« هل تحبنى يا (فؤاد) » ؟

« أموت بك يا (سارة) » .

« ستفعل » .

* * *

كل منّا غرفة مغلقة ..

وفى ذات الركن من غرفته النائية ، وبذات النكهة المُرّة فى حلقه ، يجلس (مالك) يكتب :

« ماذا وقع لك يا (سارة) ؟

لقد زرتنى فى الحلم ككل ليلة وكنتِ تبكين حتى تمزق قلبى

ماذا فعلوا بكِ يا (سارة) ؟

افتحى لى قلبك

أفصحى عن سرّك

اقتسمى معى حزنك مثل رغيف قد لا يشبعنا ولكنه يسد الرمق

أتوق إليكِ يا (سارة)

تحرّى طريقى

Looloo
www.looloolibrary.com

تعالى إلىّ

سأنتظرك فى كل وقت

فى كل لمحة عابرة أو طلب إضافة

أنا الذى يسعى إليكِ

أنا الذى يناديكِ

يا نداهتى

يا (سارة) » .

فى الخلفية بصوت ماكر :

(فهد) ! يا (فهد) !!

« ألا أستحق مقابل صورتى العارية يا (فهد) » ؟

« أبادلك بصورتى العارية يا (سارة) »

« بل الأصل » .

* * *

يبتلع ريقه فى نهم :

« هو لكِ يا (سارة) ، حين تأتين عمّا قريب » .

« بل الآن » !

أتبدى فى الغرفة من خلفه ، يكتم شهيقة براحة يده ، أرفع ساقى عن الأرض بخفة ، أخطو فى ثوبى الأحمر الهفهاف تجاهه ، ومع كل خطوة ، يتبدى طرف ساقى العاجية الناعمة تأسر لبه ، وعلى الأرض ، أترك خيطا من الدم .

وعمّا قريب ، ستغطى الغرفة كلها بالدم .

Looloo www.looloolibrary.com

فى الخلفية بصوت غادر :

(ماجـــد) ! يا (ماجـــــد) !!

« أيمكن أن نفترق فى يوم يا ماجد » ؟

« لا يفرقنى عنك إلا الموت يا (سارة) » .

« إذًا ممكن جدًا » .

* * *

كل منّا غرفة مغلقة ..

وفى غرفتى المظلمة ، أنتفض مع كل زقزقة عصفور ، أو نداء يُخيّل إلى أنى أسمعه ... لا يسعنى الفراش ، أتطلع من النافذة إلى الحديقة الخلفية التى يقف بها والدى وقد أنهكه الحفر وتعفرت لحيته ، لا تسعنى الغرفة ، وأعرف أننى لن يسعنى بالنهاية إلا القبر الضيق الذى يحفره أبى ليدفن به عاره مع ساعات الصباح الأولى ، لذلك زقزقات العصافير مرعبة ، وأصداء النداء تصبح حقيقة واردة الوقوع بين لحظة وأخرى ، وفى مدى خمسة عشر دقيقة على الأكثر ، ينتهى أبى من الحفر ، يستقبل أعمامى ، ويتعاونوا على المهمة .

أجلس إلى حاسبى ، أطالع للمرة الأخيرة الصور التى التقطها لى حسن ، صورتى فى الثوب الأبيض ، فاتنة وصغيرة وبريئة ، كان هذا قبل أن يتمكن من إقناعى بالتخلى عن ثوبى من أجله ، فكانت مجموعة الصور التى سأتخلى الآن عن حياتى من أجلها .

أدلف إلى شبكة الإنترنت ، ألقى نظرة على صندوق رسائلى ، تطالعنى رسائل من معجبين عبـر العالم ، تمكنوا بطريقة ما من الحصـول على صورى ، فكان طبيعيًا أن يبدوا الإعجاب .

ألقى نظرة أخيرة على صفحة (حسن) الشخصية ، لستُ وحدى التى تتلقى الإعجاب إذًا ، إنه أيضًا يتلقى الإعجاب على صورى ، كما يتلقى الحسد على الفاتنة التى أوقع بها ، فكان طبيعيًا أن ينتشى زهوًا .

عشر دقائق فقط ، لكنهم بما يكفى ، فكل ما بقى من رغباتى بالحياة ، أن أرسل رسالة لـــ (حسن) ، أقول فيها :

« لقد احتفظت بسرك يا (حسن) ، ولم أتستر عليك لأنى أحبك كما ظنّوا ، ولكن لأن حسابى معك لن يكون فى هذا العالم ، ولن تدفع ثمنه وحدك » .

خمس دقائق لا زالت ممكنة ، فعلت كل شىء ولا زال هناك المزيد من الوقت ، ولم يعد هناك أعصاب ، خمس دقائق بقيت على الموت ، ولكن من قال أنى أحتاجهم لأموت ، أنا أموت بالفعل ، فالانتظار مؤلم ، والفراغ يقتل ، والوقت كالسيف .

كل منّا غرفة مغلقة ، وحين فتح والدى باب غرفتى الضيقة ومن خلفه أعمامى متلهفين على أداء المهمة ، لم يجدوا من يقتلونه ، وجدوا القتيلة جاهزة ، تتأرجح من حبل فى السقف ، تنز دماؤها الساخنة فوق الحاسب الذى يعرض صورتها بالثوب الأبيض ، فيصبغه بالحمرة القانية .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فى الخلفية بصوت متغنج :

(إيهاب) ! يا (إيهاب) !!

« أتأمننى على صورتك العارية يا (إيهاب) » ؟

« يمكننى أن أخفى الوجه »

« يمكنك أن تفصله »

كل منا هو غرفة مغلقة ، وأحيانًا نتطلع إلى فتح نافذة مع الآخرين ، ثم نغلقها ناقمين مع أول تيار هواء ! هه ! وكأننا لم نكن نتوقع أن بالخــارج هــواء يستخدمه الآخرون ــ مثلنا ــ للتنفس !

ثم تعود غرفنا مغلقة ، أكثر

كل منا غرفة مغلقة ، ولكن غرفته المغلقة انفتحت فجأة على سماوات رحبة ، ولم يكن يعرف أن ذلك ممكنًا ..

* * *

وفى الخلفية ، بصوت حنون :

ــ (مالك) ! لماذا تنادينى يا (مالك) ؟

ــ لكثر ما انتظرتك !

ــ ماذا تريد منى ؟

ــ لماذا لا تزورينى مثلهم ؟

ــ أنت لست مثلهم .

ــ وهل يجب أن أكون مثلهم ، حتى أراكِ ؟

أتبدى فى محيط غرفته بثوبى الأحمر الساخن ، يستشعر حفيف ثوبى من خلف ظهره ، يلتفت إلى ، ترتسم ملامحه فرحًا ، ثم تنخفض عينه :

ــ هذا الثوب لا يناسبك يا (سارة) .

ــ هذا ثوبى ، وثأرى ، ودمى .

ــ دعى الدم واكتفى بحبى . * * *

ــ أنا مثل الموت إذا أحببت أحدًا أخذته .

يقترب :

ــ فلتأخذينى إليك .

Looloo www.looloolibrary.com

أوقفه بيدى :

ــ ابقَ بعيدًا .

ــ ضمينى يا (سارة) ؟

ــ القبر يضمنى ، والتراب يقبلنى ، وأنت لا شأن لك .

ــ أنت شأنى يا (سارة) .

ــ أنت فى شأنك ، وأنا فى قبرى .

ــ كلمة وحيدة يا (سارة) : إما أن تشاركينى غرفتى ، أو أشاركك قبرك ، فأنت صرتِ غرفتى وهوائى وحلمى الذى أراه كل ليلة ، فلا تحرمينى منك .

أهز برأسى نفيًا ، فيما أتلاشى من مجال بصره :

ــ غرفكم لم تعد تستهوينى ، وليست لديك أدنى فكرة ، عن مدى ضيق قبرى .

* * *

كل منّا غرفة مغلقة ..

وفى مقبرتى تحت الأرض أرقد ، يتأجج شعرى الذهبى بنار حقدى ، يلتهب جسدى العفن بسوْط وجعى ، ويتلون كفنى

الأبيض بدمى المهدر ، وفى الفضاء السايبرى ، تهيم روحى الناقمة تبحث عن أصحاب الضمائر الميتة والأجساد العفنة ، الذين لا زالوا بالأعلى .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

فى الخلفية ، بصوت رنان :

(حســــــن) ! يا (حســــــــن) !!

« هل تعرفت صوتى يا (حسن) ؟ »

« لا تقتلينى يا (سارة) ! لا تقتلينى يا ســـ ... »

« ششششش ! انتظرنى ثانية واحدة »

ثم أنظر إلى رأسه الذى يتدحرج على الأرض :

« والآن ، ماذا كنت تقول ؟ »

* * *

6

كانت (سارة) ترتجف بنهاية حديثها ، مددت يدى أربّت على كتفها... وقالت (مايا) مداعبة :

ـــ هل أنتِ (سارة) نداهة الإنترنت ، لقد سلبت ألباب الشباب على مدى شهور طويلة ، وأثرت غيرة الفتيات ..

وقال (بشير) :

ـــ لى صديق راح بهذا الوباء ..

عاجلته :

ـــ أكل أصدقائك قتلى وصرعى !

نظر لى فى تحدٍ :

ـــ أنتِ بالذات الأفضل أن تبقى صامتة .

ابتلعت لسانى ونظرت إلى الجانب الآخر ، كلمة أخرى وسيبدأ فى معايرتى ، وأنا لن أمنحه هذه الفرصة ثانية أبدًا ، غير أن (بشيرًا) توجه بحديثه إلى (سارة) :

ـــ أنتِ بالفعل فاتنة ، لماذا لا نجرّب أن نتبادل الحديث باستخدام الكاميرا فى هذا السايبر الواسع؟

Looloo www.looloolibrary.com

هب (يامن) معنفًا :

ــ ما أنت بالضبط ؟ ألم تكتفِ بعد وفاتك ؟!

ثم انتقل إلى جانب (سارة) وزفر فى أسى :

ــ كم أشعر بالحزن أن يدفعونكِ دفعًا للانتحار !

وقالت (منال) فى وجوم :

ــ ومن منا لم يحاول الانتحار !

رفع إليها (يامن) وجهه :

ــ ولماذا تحاول فتاة جميلة مثلك الانتحار ؟

تبتسم فى وهن :

ــ شكرًا للمجاملة ، أنا أعرف أننى لستُ كذلك ، وكثيرًا ما كنت أسمع بأذنى السخرية من ملامحى من كل عابر : « ما كل هذا الجمال ! » ، « وجهك ولا وجه القمر ! » فى حين أعرف أن المقصود هو العكس ، ولم تكن تعنينى آراؤهم ، أصدقكم لقد كنتُ سعيدة بقلة جمالى ...

ــ ولكن ..

ــ أرجوكم ، لا أرغب بأية مقاطعة .

* * *

شبح صاحبة الصورة

Looloo
www.looloolibrary.com

حكاية (منال) :

عن امرأة تخطف حبيبى ..

وهـــذه المـــرأة قتيلة ..

وأنـــا قـــاتلتهـــا ..

الواحدة بعد منتصف الليل ..

متى تقدم الوقت هكذا ؟

أبى الحبيب ينعم بنومته تحت التراب ..

أخواتى القبيحات ينعمن بالنوم فى أحضان أزواجهن ..

وبعد نوم الجيران ، يمكن للماء أن يصعد إلى طابقنا العالى ، ولكنى لا أرغب فى الحصول على حمام منعش ، بقدر ما أرغب فى الجلوس إلى الحاسب .

الواحدة بعد منتصف الليل ..

ولو كانت الواحدة ظهرًا لما شعرت بأى اختلاف ...

أدير الاتصال بالإنترنت .

الواحدة بعد منتصف الليل ، فى الثانية والثلاثين من العمر ، بعد رحلة شاقة من الحياة ، وترانزيت فى مشفى يعوقنى عن الموت ، وإلى المزيد من الحياة فى بقية العمر .

قطعتُ شرايينى أمام المرآة ..

وكان أول ما فعلته حين عدتُ إلى المنزل ، أن أخفيتُ جميع المرايا ..

وكى لا أصطدم بانعكاسى على زجاج سيارة عابرة أو مرآة تاكسى ، تخليت

looloo
www.looloolibrary.com

عن نظّارتى ، الحياة أكثر راحةً مع الأشباح المشوشين من بنى البشر ، عنها مع بنى البشر .

منتصف الليـل ، كل الوحـدة ، ضعّف الشـوق ، ألج إلى الماسنجر :

ــ من الجيد أنكَ هنا ، كنت أخشى ألا ألقاك .

ــ وأنا كنتُ أتطلع للقائك ، هل حدث شىء ؟

ــ لا ، لا شىء .

يطول الصمت لدقيقة ، يبادرنى :

ــ هل لى بسؤال ؟

ــ تفضـل ..

ــ أتظنين أن رجلاً يعرف امرأة على مدى ستة أشهر ، ولا يرى حتى صورة لها ، وتكون له أغراض دنيئة ؟

ــ ما معنى هذا ؟

ــ أعتقد أنه من حقى أن أرى صورتك .

ــ انتظر الوقت المناسب .

ــ فى كل مرة تقولين : « انتظر الوقت المناسب » ، « انتظر الوقت المناسب » ، ولا أدرى متى يأتى الوقت المناسب ، ويؤسفنى أن أخبرك ، أنه لو لا يناسبك « الآن » ، فأنا لا يناسبنى أى وقت آخر .

يبدو جادًا فى التهديد هذه المرة ، أغلق عينى وأطلق زفيرًا ..

ــ حسنًا ، امنحنى دقيقة ..

أبحث بين كل الصور على حاسبى ، أقرّب وجهى جدًا من الشاشة .. أريد صورة تظهرنى بشكل جميل .. أتابع البحث ..

ــ تأخرت .. ما الأمر ؟

ــ دقيقـة ! دقيقـة !

على الأقل ، بشكل مقبول .. أبحث أكثر ، أكثر .. كل الصور تظهرنى قبيحة . تسقط رأسى بين كتفى .. سعدتُ بقبحى طوال عمرى ، لكن لم أكن قد أحببتُ بعد ! دبّرنى يا أبى .. ماذا أفعل يا أبى ... أرفع رأسى ، أمسح دموعى ، أختيّر صورة لامرأة أعرفها ، وأرسلها له .

ــ واااو !

لا يتكلم دقيقة ، ثم حين ينطق يقول :

ــ خدعتنى ..

يجف حلقى :

ــ ماذا ؟

ــ أخبرتنى أنك لسـت جميلة ، بينما ما أراه فإنه يفـوق الجمال .. ما أحلاك !

يتغزل بكل مقطع من ملامحها حينًا ، أدرك وقع المصيبة التى اقترفتها ، لا يدرك كم كنت مضطرة !

Looloo
www.looloolibrary.com

فى حوارنا التالى كان منطقيًا أن يطلب لقائى ، غير أنى نجحت فى إشعاره بالإثم ، فليس معنى أننى قد تساهلت بإرسال صورتى أنى سأتساهل بلقائه .. كان يعيد السؤال كل فترة إما بتودد أو بتوعد ، وكنت أتفنن بالأعذار ، حتى يوم أخبرنى بكل البهجة :

ــ لقد رأيتك ، لقد رأيتك وناديتُ عليك لكنك لم تسمعينى .. كم أنت ساحرة حين تمشين مرفوعة الرأس مثل أنثى كوبرا شامخة .. لا .. ليس تشبيهًا مناسبًا ، أعذرينى لستُ أديبًا ولكن حسنك قد أطلق لسانى ، وذلك الثوب الأرجوانى بلون الغروب يتطاير فى كل صوب أطيار عقلى ، لا يمسكه إلا حزامك الذهبى يطوق خصرك الناحل .. إنك ..!

أتركه يتابع حديثه ، وأذهب إلى الخزانة فى سرعة ، أضىء الأنوار وأتفحص صف الملابس المرتصة ، ألمح فستان بدرجات بين البرتقالى والبنفسجى .. أرفعه تجاه وجهى وأدقق : « هل هذا ما قصده بـ « الأرجوانى » ؟ أسقطه وأقنع نفسى بالعكس : « ليس بالضرورة » ..

تلمح عينى طرف حزام ذهبى بالأسفل ، تغزو جسدى القشعريرة .. كيف ظهرت بعدما قتلتها بيدى ؟ ومن أين لها بفستانى الأرجوانى ؟!

* * *

خبا السؤال فى عقلى وسط الأحداث اليومية العادية ، وما كان يطفو فقط هو ولعى به .

ــ يحلو لى أن أسألك .. لو لم أكن جميلة أكنت لتحبنى ؟

ــ لقد أحببتك من دون أن أراك ، ولكن هو سؤال غريب من فتاة بارعة الجمال ..

ــ تعلمت أن الجمال ليس شيئا سارًا ، وأبى الحبيب كان يفضل أن تكون الفتاة متواضعة الجمال ولكن على علم وخلق ، وتعرف كيف تسعد زوجها وتخلص له .. أتعرف ما الذى أحببته بك ؟

ــ ماذا ؟

ــ الاهتمام ، أنت تهتم بى كما لو كنت أبى .

ــ هذا مما يسرنى ..

ــ وأنا أريدك حين تصبح أبًا أن تكون مثل أبى ، فالأب هو أول حب بحياة الفتاة ، وأعظم رجل ، وهو أول من يشعر الأنثى أنها أنثى ، أريدك أن تعامل ابنتك كأنها ملكة ، مهما يكن مقدار جمالها ، هكذا يفعل أبى .

ــ ألا تلاحظين أنك تتحدثين عن أبيك أكثر من اللازم ..

ــ هاه !

[illegible]

[illegible] لستُ امرأة عادية .

لن تقابلنى كل يوم ..

Looloo www.looloolibrary.com

كنت أدرك هذا وأدرك فى الوقت ذاته كم مقيت ما بداخلى من أسرار ، ثمة تعقيدات لا أملك القدرة ولا الرغبة فى فك طلاسمها ، وكل ما أريده أن أدفع بحياتى دفعًا يومًا بيوم للأمام .

حتى اليوم الذى أخشاه : جاءنى وقد نفد صبره فأخبرنى بذات اللهجة الحاسمة التى استخدمها من قبل :

ــ لقد طال انتظارى ، ولتعلمى أن آخر ما بقى فى صبرى هو حتى السابعة مساءً ، ألقاك فى كافيه اللقاء ، أو لا أراك بعدها مطلقًا .

حاولت كثيرًا الكتابة إليه بعدها فكان لا يجيب .. وحين رد على أخيرًا وقد تجاوزت التاسعة ، شكرنى مبتهجًا على اللقاء الممتع والسهرة الحلوة .

تكررت اللقاءات بين فتاى وتلك القتيلة ، وأصبح يصف لى فساتين أكثر سخونة ، ودعوات على العشاء وإلى السينما ، وصار على أن أجلس وأشاهد تلك القتيلة تسرق منى حبيبى ، أو ... أن أفعل شيئًا ..

كيف أخلص منها ... هل أقتلها ثانية؟ ومن أدرانى أنها لن تشتكينى لحبيبى ، ويكون جمالها هو حصنها الذى تحتمى به من غدره ، ورصيدها الذى تتكئ عليه عنده . كان لها ذاك الامتياز ، الجرين كارد ، صك العبور الذى يسمى : الجمال .. أما أنا فلا يعنينى كل هذا ، ما دام أبى الحبيب لا يعنيه ، فهو لا يعنينى كذلك .

أما الشىء الهام :

فمن هى ؟

وكيف قتلتها أول مرة ؟

ولماذا لا تسعفنى الذاكرة ..

أرسلت نظرى للصورة؛ لم يكن ما بالصورة محض جمال ، كان بها شيئًا لا يمكن وصفه ، شيئًا مثل النبل بعينيها ، أو شجن بابتسامتها القصيرة .. ولكن ذقنها شامخة ، شموخ المرأة التى تعرف أنها جميلة ، كانت تتدلل ، دلال الأنثى بين يدى من يعنى بها ، كأن هناك مصورًا قد اهتم لآخر تفصيلة أن تبدو جميلة .. أعدل جلستها ، أقام ظهرها ، وأرسل شعرها فوق كتفيها ، ثم دعاها للابتسام ..

ضبطتُ نفسى أبتسم إذ أنظر إليها ، فانتفضت ، لو هذا حالى وأنا قاتلتها فكيف بحبيبى ينظر إليها ! ساندنى يا أبى .. كن معى دائمًا ، فلم يعد أمامى غير طريق واحد لو أردتُ الاحتفاظ به ، وأنا حقًا أريد . أسرعت أدير الاتصال وأكتب إليه :

ــ لا تلقاها ، إنها ليست أنا .

ــ ماذا تقولين ؟!

ــ أقول لك ، لقد خدعتك ، ليست صورتى ..

ــ فمن هى إذًا؟

Looloo
www.looloolibrary.com

— كانت صديقة ، وقد ماتت .

— ماتت ؟ إنها تخرج معى ..

— أخبرك أنها ماتت ، وأنا التى قتلتها

— أتخرفى ؟

— صدقنى ، لا أخدعك ، أنت حبيبى أنـا وليس هى ، لا تلقاها وابق معى .

صمت حينا ثم قال :

— حسنا ، فلتلقينى أنت ، الليلة ، السابعة مساء ، فى كافيه اللقاء .

ثم أنهى الاتصال .

* * *

تعنى الكوافيرة بى ، ثم تطلب منى :

— انظرى فى المرآة ..

أدس النقـود بيدها مغادرة :

— لا أنظر .

لا أكاد أذكر ملامحى .. أنظر إلى حذائى الفضى من تحت ثوبى الأزرق ،

أرجو أن أكون جديرة بصحبته الليلة ، ادعُ لى يا أبى ، فهو يستحق ـــ

أقف عند المدخل ، أدير عينى فى ارتباك .. وقد أدركتُ للمرة الأولى المشكلة ، هو لا يعرف شكلى ، وأنا لا أملك النظارة .. فكيف من الممكن أن نجد بعضنا ؟

يقف خيالاً من بين الخيالات ويلوح بيده تجاهى ، ثم يتقدم ، يصافحنى ويحتفظ بيدى بين كفيه ..

— كنت أثق بأنك قادمة .

ثم يقودنى إلى الطاولة ، أدير عنقى تجاهه فى دهشة :

— وكيف عرفتنى ؟

— ما هذا السؤال الغريب ؟

— إنها أول مرة نلتقى .

— هل ستعودين لهذا الكلام ؟

— إننى أراك للمرة الأولى وكنت أخشى ألا ...

يضرب الطاولة :

— ألن ننتهى أبدا من هـذا ؟ أنا هو أنا ، وأنت هى أنت التى ألقاها فى كل مرة بشحمك ولحمك !

تضربنى الصاعقة ، أميل أنظر لنفسى ، أتلعثم فى الكلام :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ أنا لستُ ... إننى ...

يقبض على يدى ، يقيمنى ويدفعنى أمامه لأجد نفسى أمام مرآة بطول الحائط :

ـ ها أنتِ ، صاحبة الصورة ذات الملامح فائقة الحسن التى تدير رءوس الشباب وتثير غيرة البنات ، فهل أطار جمالك عقلك !؟

أقترب برأسى أكثر ، أتحسس الملامح الزجاجية المنزعجة .. ليست بالضبط ... أقصد أننى ... يفلت منى صريخًا ، أدفع بقبضتى تجاه المرآة فتتكسر أمام عينى .. أشيح بوجهى ..

نكتسب مشاهدين فى ثانية ، يراقبون عن كثب ، يتقدم مدير الكافيه منزعجًا فيذهب إليه فتاى يهدئه ...

أذكرها ، أعرفها ، أتساقط بين شظايا الزجاج ، أشيح بوجهى عن ألف وجه لها حولى ، فى موقف كهذا عزمتُ على قتلها ، فى موقف كهذا مزّقت شراييني وذبحتها ، لا أحبها ، كما لم يحبها أبى الحبيب ، كان يفضّل عنها أخواتها القبيحات ، كان يأمن لهن ، وكنّ محط إعجابه واهتمامه ، أما هى .. كانت تأسر الجميع بجمالها ، إلا أبى ، كان يصيح بها : من الذى ستخدعينه بجمالك ؟ من الذى ستلقين عليه بشباكك ؟ ما أنت إلا مشروع خائنة مثل أمك ، ما أنت إلا عار مدى الحياة ...

لماذا عادت ؟ ولماذا أضاعت كل ما صنعتُ بحياتى ، بعدما خلصت منها ، وعشت سعيدة بقبحى وراحة بالى !؟

* * *

أبتلع دموعى ، أشهق شهقة الخلاص ، أدير عينى حولى ، أنظر إلى فتاى حيث يتحدث مع المدير : « أكرر اعتذارى ، وسأتكفل بأية إصلاحات » .

أتحسس شطر مرآة ، وفى أقل من ثانية ، أغرسه بعمق شراييني .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

7

حين تنتهى (منال) ، يبادرها (يامن) متضاحكًا :

ــ أصدقتنى الآن أنك جميلة؟ إن لم تكونى أنتِ جميلة فإننى لا أفقه شيئا فى النساء ..

سرت البسمات بين الوجوه المُرهقة ، أما أنا فأفيق من وجومى ، وأجد أنى أبدأ بالكلام :

ــ الحقيقة يا رفاق ، لقد جئتكم حاملةً همًا ، فإذا بهمومكم تفوق همومى وتشعرنى بالرضا عن ذاتى ..

وبالطبع لم يكن (بشير) ليفوّت هكذا فرصة :

ــ هاهاها ! لا تتحدثى أنت يا قتيلة تحت الفراش !

ثم يتساءل مستنكرًا وكأنه يعلمها للمرة الأولى :

ــ تحت الفراش ؟ هاهاها !

إنه مثل القدر ، مهما حاولت تفاديه تجد أنه يصطدم بك ، لم أتمالك نفسى :

ــ لا أدرى لماذا تترصدنى هكذا يا هذا ! وكأنك أنت الذى مت على فراشك وشيعتك الملائكة !

يتدخل (عادل) :

ــ لا داعى للشجار ، ما جئنا هنا للشجار ..

ثم التفت إلى (منال) :

ــ وهل نجحت محاولة انتحارك هذه المرة ، أم لا تدرين مثلهم ؟

أجج سؤاله جنونى كذلك :

ــ ولماذا تحصينا عدًّا هكذا : الميت وغير الميت ؟

هب الجميع مهدئًا .. وقال (يامن) :

ــ لقد تعبت أعصابنا جميعًا ، وأرهقنا السهر . لم يبقَ غيرك يا (عادل) ، فلتحكِ لنا حكايتك وتدعنا نمضى ..

يقول (بشير) بينما يفرك عينيه ويتثاءب :

ــ أرجو أن نحصل على بعض الشاى أولاً ، لا أكاد أفتح عينى ، وقد كاد الصبح يطلع .

مانع (عادل) فى عمل الشاى مدّعيًا أنه يريد أن ينهى حكايته بسرعة ، وهو الأمر السخيف أن يقع منه باعتباره مضيّفنا ، غير أنى كنت بحاجة للشاى فعلاً ، وحبّذا لو قهوة تبقينى يقظة ، فقلت له أن يبقى مكانه وأقوم أنا بالمهمة ، وكنت أنتوى هذا على أية حال ، فمعدتى لن تتحمل الشاى الذى يعدّه ثانية .

Looloo
www.looloolibrary.com

قادنى (عادل) إلى زاوية بالغرفة الداخلية يعتبرها المطبخ ، وأرانى مواضع الأشياء ، سألته :

ــ هل يوجد بن هنا ؟

ــ لا أدرى !

ــ أليس محلّك ؟

ــ لستُ غاويًا القهوة .

ــ حسنًا ، فأين الثلاجة ؟

ــ لا زلتُ لا أدرى ...

ثم تركنى مغادرًا ، علقت عينى به فى دهشة إذ يتركنى ويغادر بدون لياقة ، إن سلوكه لم يعد متحضرًا إطلاقًا ، وقعت عينى على طرف الجاكيت الخاص به إذ يعلق بمقبض الباب ، ثانية واحدة لكنها كانت كاشفة ، حيث ارتفع طرف الجاكيت مبديًا مسدس مدسوس ببنطاله .

دسست وجهى فى الصينية ، علّه يحتاجه لحفظ المحل ، علّه لا يستخدمه ضدنا ، وعلّنى على صواب . عدت أحمل الشاى ، مددت يدى بكوب نحو (عادل) قائلة :

ــ لقد دنونا من الفجر ، لماذا لا تفتح الأبواب وتدعنا ننعم بهواء الصباح العليل .

ــ دقائق وسنغادر كلنا ، بعدما أحكى حكايتى ...

ملتُ على (يامن) ، لأهمس بما رأيته ، غير أن (عادل) عنفنى بنظرة حادة :

ــ لا أريد كلام ، حتى أنهى ما لدى .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

حكاية (عادل) :

عن اختيارات نختارها والسكّين على رقابنا ،

وألعـــاب نلعبهـا رغـم أنوفنـــا ،

ثـم ندفـع حياتنـا ثمنًا للفـــوز !

لماذا لم تكتب الرد ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

أستعيذ من الشيطان ..

أتنفس بعمق ، وأدخل خلفها ..

أمد يدى أداعب شعرها ، تبتعد بحركة تلقائية منكمشة فى الركن ..

ــ معقولة يا (نورا) ! هل أنتِ خائفة منى ؟

ــ أنت عنيف جدًا فى غضبك ، ولقد حذّرونى منك قبل الزواج ، قالوا : ضابط شرطة يعتاد على المعاملة العنيفة الجافة مع المجرمين .

ــ وهل أعامل زوجتى مثل المجرمين ؟

ــ أنت تتوقع من الجميع أن يخضع لك مثل متهم عندك .

ــ ألا تشعرى بقربى منكِ ، وخوفى عليكِ وعلى ابنتنا ؟

ــ بل أنت مثل أبطال أفلام Saw ، تؤذى من حولك فى حين تظن أنك تعمل لصالحهم ..

يتملكنى الغضب ويتلاعب الشيطان برأسى :

ــ أنتِ لا فائدة منكِ ! أنتِ كما أنت منذ أول يوم : تعشقين النكد !

أطيح بكل الأدوات عن التسريحة تنكسر على الأرض ، تصرخ هى وتعود تنكمش على نفسها ، أرفع قبضتى تجاهها ...

ثم أتمالك نفسى وأغادر المنزل فورًا .

* * *

عدت متأخرًا ..

الأنوار مطفأة والجو هادئ ، فتحت باب غرفة النوم فوجدتها نائمة ، كذلك اطمأننت على طفلتى ، ثم جلست إلى الحاسب بغرفة المعيشة ..

أردت أن أعرف كيف يبدو أبطال ذاك الفيلم الذين أشبههم ، فلم أكن قد شاهدته لظروف عملى ، هل يبدون مجانين بطاسات فوق رءوسهم ؟ أم مجانين الغرب يتخذون نمطًا آخر بنظرة جشع بأعينهم بينما يطاردون ضحاياهم بالمناجل ... هل هكذا ترينني يا (نورا) ... هكذا ترين قصة حبنا بعد خمسة أعوام من الزواج ؟

كان هناك منتدى يسمح بالتحميل ، غير أنه يطلب أن تضع ردًا كنوع من التقدير لرافع الفيلم ، بدأت التحميل ثم رحت أتصفح الأخبار ريثما يكتمل ، غير أن شريط إعلانى جذب انتباهى بأعلى الصفحة بعبارته :

« لا تنسَ الرد » .

انتقلتُ إلى صفحة أخرى ، فبرزت لى رسالة من أسفل الصفحة :

« لا تحمّل وتمضى مثل اللصوص ، ضع ردًا » .

عدت إلى صفحة التحميل فوجدته يسير بسرعة معقولة ، ولكن محتوى نافذة التحميل كان ينص على :

« صدّقنى ، لن تحب أن تحمّل وتمضى » ..

هرشت رأسى فى حدة ، ثم قمت أعد بعض القهوة ، وتعمدتُ التلكؤ ريثما ينتهى التحميل . ما أجده غريبًا الآن ، أننى لم أفكر فى أية مرة أن

www.looloolibrary.com

أترك ردًّا ، ربما لو فعلتُ لانتهت قصتى ، ربما لو فعلتُ لما كنا أنا وأنتم ههنا نناقش هذه الأمور ، لكننى لم أكن قد اعتدتُ شيئًا كهذا ، كم من مرة حمّلت شيئًا من الإنترنت ثم نعمتُ به كهدية مجانية فى حين نظيرتها على الواقع تُدفع من أجلها النقود ، وحين كانت أمى تعد أصناف الطعام وتضعها أمامى فور عودتى من العمل ، لم تكن تطلب منى أن أترك ردًّا ، وحين كان أبى ينفق على دراستى حتى آخر مليم بجيبه لم يطلب منى أن أضع ردًّا ، وحين أضع ملابسى فى الغسالة من دون كلمة كاتفاق ضمنى بينى وبين زوجتى ، فأجدها فى الصباح نظيفة ومكوية على حافة فراشى لم أضع ردًّا .. فلماذا قد أفكر الآن بأن أضع ردًّا !!؟؟

حملت القهوة وعدت ، كانت شاشة التوقف تلوح مع عبارة تتراقص من أسفل لأعلى تقول :

« فرصتك الأخيرة تمتد لمدى دقيقة » ..

هززت الماوس بسرعة فاختفت شاشة التوقف ، نظرتُ إلى نافذة التحميل فوجدتها وقد تحولت إلى ساعة رملية تعد عدًّا تنازليًا بدقات مسموعة : 60 ــ 59 ــ 58 ــ ....

تملكنى الذهول ، نبض قلبى بأعلى من تلك الدقات .. لم أدرِ ما أفعل غير أنى ركضت بحركة لا إرادية فجلستُ بأسفل طاولة السفرة محتميًا من الكارثة ...

توقفت الدقات ، ترقبتُ لثوانٍ ، ثم ألقيتُ برأسى للخارج ... كانت الأمور مستقرة والأمن مستتب ، هكذا خرجتُ عاجبًا من تصرفى ذاك ، ولا شك أننى اتهمت نفسى بالهلاوس من بعد يوم طويل مرهق .

على الحاسب رسالة اكتمال التحميل ، اتخذت مقعدى وأعملت الفيلم ، لم أستطع بالتأكيد أن أطفئ الأنوار أو أتمثل أجواء استرخاء ، حتى القهوة انسالت إلى صدرى عدة مرات ، ومن حسن الحظ أن ابنتى وأمها نائمتان .

تعرفتُ إلى (جيكسو) : مريض السرطان الذى حمل على عاتقه سيف العدالة ليمنح الذين لا يقدّرون حيواتهم فرصة الامتنان لنعمة الحياة .. لم أدرِ إن كانت زوجتى قد قصدت تشبيهى بتلك الشخصية بالذات أم شخصيات الضحايا من غير المقدرين لحيواتهم الأسرية ، وما كانت معرفتى تصنع فارقًا ، هأنا أشاهد الفيلم وكفى . استغرقتنى الأحداث الشيقة للغريبيْن الذيْن استيقظا ليجدا نفسيهما فى مكان غريب مقيديْن من الساق .. كانا يتبادلان الحوار ، وفى سياق الفيلم ، سأل أحدهما الآخر :

ــ لماذا لم تترك ردًّا ؟

ــ علامَ ؟

ــ على الفيلم الذى نمثّله الآن .

ثم انقطعت الكهرباء ! فسرت قشعريرة فى بدنى ، وحبستُ أنفاسى ألهث فى داخلى ، وذلك حين سقطت كف على كتفى :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ بابا !

تمالكتُ نفسى :

ــ مرحى يا صغيرتى ! لماذا استيقظتِ ؟

ــ من أجل أن أقول لك : لماذا لم تترك الرد ؟

كان صوتها مختلفًا قليلاً عن ابنتى ، أما ملامحها ، فلم أستطع التمييز فى الظــلام ، هممتُ أن أركض غيــر أنى فكرت لثانية لو أنها ابنتى الحقيقيــة فكيــف سيكون منظرى أمامها؟ لم أجد إلاّ أن أشدد لهجتى :

ــ ادخلى إلى غرفتك .

وقد استجابت على الفور وانسلت مثل قطة فى الظلام ... ما هذا الذى يحدث لى ... أرجعت رأسى للوراء وأرحتها إلى مسند المقعد ، ها قد انطفأ النور وحصلتُ على الاسترخاء الذى كنتُ أخشاه .. غير أن الشاشة تلألأت فجأة .. وظهر عليها القناع المميز لــ (جيكسو) ، ثم تحرك موضع شفاهه بعبارته الأثيرة :

« أريد أن ألعب لعبة » .

* * *

8

اعتدل (عادل) فى جلسته ، ونظر إلى ساعة الحائط التى أشارت إلى الرابعة والنصف صباحًا ، ثم نظر إلينا .. عاجلناه بأفواه واحدة :

ــ وماذا بعد ؟

ــ لماذا صمتت ؟

أخذ شهيقًا عميقًا وقال :

ــ إلى هنا انتهى الحد الذى أعرفه من القصة ..

وما بقى هو الحد الذى تعرفونه : ألتقى بكم عبر الإنترنت ، أوْجر هذا السايبر وأجتمع بكم فيه ، أسمع حكاياتكم فــأميّز الذى أذنب ذنبًا ولقى جزاءه عن الذى أفلت من العقاب ، وهو واحد فقط منكم ، ودورى : أن أمنحه ما يستحق قبل الخامسة .

يلتصق الذهول بكافة الوجوه ، تتساءل (سارة) :

ــ ألهذا جمعتنا ؟

وتسأل (مايا) :

ــ هل كانت لعبة ؟

وتقول (منال) :

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ إذًا أنت ضابط ولست صاحب هذا السايبر ..

ويعلن (بشير) :

ــ لقد كنتَ مقنعًا ..

ويسأل (يامن) :

ــ أمن أجل هذا كنت تتحرى الميت منا من الحى ؟

ــ هذا هو مربط الفرس .

أجابه (عادل) ، وأخرج المسدس من خلف ظهره ، وقع قلبى فى قدمى وعلقت عينى بالباب .. إن المفتاح فى جيب (عادل) ، والمسدس بيده ، يلوّح به بوجوهنا ويقول :

ــ الميت منكم قد أراح واستراح ، أما الذى على قيد الحياة فسوف يلقَ جزاءه الآن ...

امتقــع وجهى وشــحب حتى صرتُ إلى الأشــباح أقــرب فقلتُ : « لعله خير » ... تابع (عادل) حديثه :

ــ أريدكم مجموعتين : المجموعة الأولى من (بشير) ، (سارة) ، و(ليلى) ، وهى المجموعة التى تأكد لى موتها بنهاية حكاياتها .

زفرتُ الخلاص ..

ــ أما المجموعة الثانية فلم تؤكد أو تنفِ موتها وتتكون من : (مايا) ، (يامن) ، و(منال) .

أسرعت (منال) على الفور :

ــ ألم أوضح أننى قطعتُ شرايينى ؟

ــ لم تجيبينى إذ سألتك إن كان انتحارك حاسمًا هذه المرة أم تم إنقاذك .

ــ لأن سؤالك غيــر منطقى ؛ الانتحــار حاســم ، ما لم أذكر العكس .

نزل (يامن) عن كرسيه واقترب من (عادل) متباسطًا :

ــ أوتظن أن مجموعتين من الأشباح مع شخص واحد حى ستخشى من مسدسك هذا ؟

لوّح (عادل) بالمسدس فى ارتباك :

ــ لا تقترب منى وابقَ مكانك!

تابع (يامن) الاقتراب متسائلاً :

ــ ألم يخبروك أن الأشباح الميتة من قبل لن يقتلها مسدس ؟

جذبت (مايا) (يامن) من يده قائلة :

ــ دعه فى ظنونه يا عزيزى ، إنه مسكين .

نقّل (عادل) مسدسه بين (يامن) و(مايا) قائلاً :

ــ أريد إجابة واضحة : من منكما الحى ؟

عاد (يامن) إلى مقعده مطلقًا ضحكة ساخرة

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ لو أن هذا يفيدك ، فأخبرك أن اللحظة التى قتلت فيها زوجتى على يد مصور الكاميرا ، وتلاها خروج شبح الزوجة من غرفتها تترنح وكأنها تحتضر وتتهمنى بقتل نظيرتها الواقعية .. فى هذه اللحظة اقتربت منى وأجهزت على . كنت أشعر بعدها أننى بشكل ما ميّت ، كنت أشعر أن طفلى يتيم ، غير أننى لم أرد أن أصدّق ، كان لدى ثأر يدفعنى للتمسك بالحياة ، وقد ذهبت للمهرج وطعنته عدة مرات ، ولكننى حين زرته بالمشفى وسألته عن سبب عدم إبلاغه عنى ، أخبرنى أن هذا لن يفيده ، فلن يستطيعون عقابى إذ أننى ميتٌ من قبل .

أنهى (يامن) كلامه فاستدار (عادل) مباشرة نحو (مايا) ، ابتسمت تلك بهدوء :

ــ ليس الوضع أفضل هنا ، هل كنتَ تظن أن (مايك) يتركنى أعيش بعدما قد خنته ومسحته من حياتى؟ لقد قالها لى ، قال إن (مايك) لن تخونه امـرأة للمرة الثانية . كـان (مايك) يجيد الانتقام ، ولكن ليس بيديه ، إنه يستعين بآخر ، وكما استعان بفتاة أخرى لقتل زوجته ، وجدت ذات مرة فتاة على الباب ، تخبرنى أنها من طرف (مايك) ، وأنها مكلفة بقتلى ، وبعد عدة طعنات ، وقبل أن أفارق الروح ، استمعتُ إلى بقية الرسالة : أنه قد صادقها عبر برنامج تعلم اللغة الإنجليزية ، ووعدها فى حال قامت بقتلى ، أن يفتح لها الأبواب إلى الثراء والنفوذ والسلطة ، بما يعرفه من أسرار العملاء ، وأول سر ، كعربون صداقة ، كان عن تميمة الحظ التى أحتفظ بها تحت وسادتى .

ينظر (عـادل) إلى السـاعة : إلاّ ربـع ، ينقّل المسدس بينهما فى عصبية :

ــ ما معنى هذا؟ من منكما الحى ؟

يردد بنبرة تتعالى وكأنما يذكّر نفسه ، بينما المسدس فى يده يروح ويجيئ بينهما :

ــ لا إلى الأحياء ولا إلى الأموات ، لا إلى السعداء ولا إلى التعسـاء ، لا إلى القتـلة ولا إلى المقتـولين ، الـ بين ــ بين ، الـ بين ــ بين ، الـ بين ــ بين ..

وظل يرددها حتى قلتُ إنه جُن . ارتفع (يامن) حتى طار فى الهواء ، ثم اقترب بالحركة البطيئة من (عادل) ، تبعته (مايا) ، (بشير) ، (سارة) و(منال) ... لم يندهش (عادل) من حركتهم المفاجئة ، أما ما أثار دهشـته أننى أنا التى بقيتُ بالأرض . بادلنى نظرة تحمـل من الإحساس بالخديعة ما يفوق كل النعوت التى تصفها ... التصقت بالحائط وارتقبت ، صوّب مسدسه تجاهى من بين الشقوق التى صنعتها أجسادهم الهائمة ، تتلاحم الأجساد وتتفرق ، تقترب وتبتعد ، يعيد التصويب فى كل مرة ، حتى تحكم الدائرة إغلاقها عليـه ، لا أرى (عادل) ، أسمع صوت سقوط المعدن إلى الأرض ، أسمع لهاث (عادل) العالى الذى يتحول إلى صراخ إلى حشرجات .

تعلق عينى بالساعة التى يتحول عقربها إلى الخامسة . يبتعد الأشباح فجأة ، يرتمى (عادل) على وجهه منهارًا ، ومن مدخل الغرفة الداخلية ، يبدو شبحًا هائلاً لكائن شفاف ضخم له أبعاد أنثى .

Looloo
www.looloolibrary.com

يهب (عادل) واقفًا من دون أن يراها ، ثم يخبئ وجهه بذراعه متحاشيًا ضربة لم تقم بها المرأة الشبح ويقول :

ـ امنحينى فرصة أخرى ، لقد خدعونى ، لقد خدعونى ...

يرتفع المسدس عن الأرض ، يتوجه تجاه (عادل) ، ينضغط الزناد ، وتفر الطلقة نحو الرأس . أصرخ ، أركض ، أطرق على الباب ، على الجدران ، أبحث عن أى مخرج . ثم أستند إلى الحائط بظهرى ، وأسقط من التعب .

يتقدم شبح المرأة من مقعد ، ويجلس ، تتحوطه الأشباح فى مهابة ، تنحنى (مايا) أمامها فى خشوع :

ـ لا أصدّق عينى .. هل أنا أراكِ وجهًا لوجه يا (ويجا) !؟

وتميل (سارة) تقبّل يديها :

ـ باركى روحى يا (ويجا) ، وامسحى عنها الأحزان .

يتبعها بقية الحضور ، فيما يميل (بشير) على (منال) بجواره :

ـ من (ويجا) هذه ؟

ـ صهِ .. لا تسمعنك .. (ويجا) قديسة الحروف وشيطانتها ، وسيدة العالم السفلى ، كيف لا تعرفها ، اذهب فاطلب مباركتها أو احظ بمسحة رأس .

أما أنا ، فمنذ سمعتُ لفظة « ويجا » أوقع فى قلبى ، وكان اسمها وحده مما يكفى لتداعى الذكريات ... تزيح (ويجا) الجمع بيديها ، وتشير إلى فى حقد :

ـ إنكِ تنجين فى كل مرة ، إنكِ تتبعين القوانين ، ولكن ، لتكونن لكِ سقطة .

ثم أشارت إلى الأشباح من حولها وقالت :

ـ ألا توافقيننى أن هؤلاء الفتية والفتيات التعساء الذين دفعوا أعمارهم فى ريعـان الشـباب تسديدًا لأخطائهم ، لا يستحقون الخداع بقصص ملفقة ؟

أومأت برأسى موافقة ، فبدت نظرة جادة على وجهها وقالت بنبرة رهيبة أرجفت قلبى :

ـ أتفضّلين الحكى أم أحكى أنا ؟

قلتُ من فورى :

ـ سأقول ، سأقول ...

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

تحكيها : (ليلى) :

عـن حـكايات لم تُحـكَ ،

وديـــون لـم تُســـدَّد ،

ومصائب تحل لا تدرى من أين !

Looloo
www.looloolibrary.com

شـــيطانة الحـــروف

كان يجب أن أعرف حين رأيت وجه (مشيرة) الممتقع أنها تنبئ عن كارثة .

كان يجب أن أفهم حين رأيت وجه (عصمت) المتحفز من خلفها أن نبوءاتى تتحقق .

كان يجب أن أتعلم أن ثلاثتنا لا تجتمعن فى موضع إلا ويجلب الشيطان علبة فيشار ويجلس يتعلم .

كان المفترض أن أغلق الباب بوجهيهما وأوصده بالأقفال ثم أسحب من خلفه النيش ، إنهما لا يحملان لى إلا المصائب ، ولقد عزمتُ لئن خرجتُ من هذا السايبر سالمة لأقطعن علاقتى بهما .

ــ لا تحيدى عن الموضوع ، وانفذى إلى صلب الحكاية

ــ حسنًا ، حسنًا ، سأنفذ حالاً ...

كانا يتشحان بالسواد ، وأنا أيضًا عندما علمتُ بقدومهما ارتديتُ الأسود مجاملة ، فأم (مشيرة) متوفاة حديثًا ، وبالرغم من أنها كانت سيدة متسلطة إلا أنى لا زلت أذكر لها صحائف الشاى والشطائر التى كانت تقدمهم لنا فى جلسات المذاكرة ، ومهما كان من طباعها السيئة فإن فقد الأم أمر قاس لا أتصور أن يقع لى .. هكذا رحنا نتعامل برقة وحنان مع (مشيرة) ، غير أنها تمادت فى البكاء ، ومن بين عبراتها راحت تقول :

ــ فقط لو يعود بى الزمن قبل موتها بثانية ، فقط لو ثانية ، كنت اعتذرتُ لها وقبلت رأسها كى تسامحنى ، لقد ماتت غاضبة منى يا (ليلى) ، ماتت غاضبة يا (عصمت) ..

ــ اهدئى يا (مشيرة) ، تلك مشاحنات عابرة وكل الأمهات متسامحات .

ــ ماتت بعدما عنفتها وقلت لها أننى ضجرت من تدخلها فى شئونى .. من غيرها الآن ليهتم لشئونى ؟

قالت (عصمت) :

ــ لا تقولى هذا يا (مشيرة) ، كلنا نهتم لشئونك ، فقط اهدئى ..

ــ لا يمكن أن أهدأ يا (عصمت) ، لا يمكن أن يهنأ لى بال حتى أعتذر منها وأستسمحها أن تغفر لى ... لا يمكننى أن أحيا بمثل تلك العقدة من الذنب ... أشعر أننى إذ أضع رأسى إلى الوسادة أننى سأنتقل إلى جوارها ، ستخرج روحى .. أريد محادثتها ، بضع كلمات لا أكثر ، بضع كلمات تنقذ روحى .. ساعدينى يا (ليلى) ، ساعدينى يا (عصمت) ...

قلت وروحى تنفطر عليها :

ــ وكيف يمكننى أن أساعدك يا (مشيرة) ؟

وقالت (عصمت) :

ــ هل تقصدين لوح الويجا ؟

توقفت الدموع عن عين (مشيرة) وتطلعت إلى (عصمت) فى سكون ، تحولتُ أنا من الرقة إلى القسوة فى ثانية :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لا ، هذا لا يمكن أن يقع يا (مشيرة) ، لن نصلح خطأ بخطأ أكبر !

ـ ولماذا يا (ليلى) ، لا تحرمينى فرصتى فى الحياة مرتاحة البال ...

وقالت (عصمت) :

ـ ما أمرك يا (ليلى) ، لم نعتد عليكِ جبانة !

ـ أنتما لا تفهمان ، إنها خدعة ، هذا اللوح لا يعمل ويناسب النصابين وفارغى العقول لا أكثر ، أما وإن عمل ، فإنه لا يجلب راحة البال وإنما يجلب الوبال لا أكثر ، أما وإن نجح ، وتم استدعاء روح الفقيدة أمها ، فإنها ـ الله يرحمها ـ طويلة اللسان ، بذيئته ، ولو علمت أن مستقبلك متعلق بسماحها لكِ ، فإنها نكاية بكِ ، لن تسامحك !

علت نبرة الغضب بصوت (مشيرة) :

ـ لاحظى أنكِ تتحدثين عن أمى يا (ليلى) !

وقالت (عصمت) :

ـ لو لا تريدى أن تشاركينا فلا بأس يا (ليلى) ، نستحضرها وحدنا .

ثم تستدير إلى (مشيرة) وتسألها :

ـ هل تعرفين كيف نقوم بذلك ؟

وهو ما أطار صوابى :

ـ تستحضرانها وحدكما؟ تجلسان فى بيتى وتخبرانى أنكما ستجلبان أرواحًا شريرة إلى البيت ثم تقولان : لا تشاركى يا (ليلى) !

قامت (عصمت) ، وأمسكت بذراع (مشيرة) :

ـ لا بأس .

واتجهتا للباب . زفرتُ وانحنت رأسى للأرض ، ثم هرعت خلفهما :

ـ ليس هكذا يا (عصمت) ، لم ننهِ الحديث بعد .

لم تتوقف :

ـ انعمى ببيتك يا (ليلى) !

ـ لا تكونى عنيدة يا (عصمت) ، خلاص ، افعلا ما تريدان هنا ، لكنى لن أشارككما .

عادتا إلى الداخل . وقالت لى (مشيرة) فى بساطة :

ـ هل لديك لوح (ويجا) يا (ليلى) ؟

ـ ماذا ! ولماذا تفترضين أننى أحتفظ بهذه الأشياء كشىء عادى ؟

ـ فلنشتريها إذًا .

ـ وهل تعتقدين أنها تباع فى المكتبات جنبًا إلى جنب مع ألواح الشطرنج والطاولة ؟

ـ لماذا تحبطيننى يا (ليلى) ، ماذا أعمل إذًا ؟

والتفتت إلى (عصمت) ، فقالت تلك :

ـ هناك طرقًا تقليدية كانوا يستخدمونها قبل لوح (الويجا)

Looloo
www.looloo.com

وطلبت منى الاستعانة بالإنترنت ، دقائق قبل أن تقرأ علينا :

« طريقة السلة : ضع خشبة طويلة على هيئة صليب داخل سلة ، وضع على هذه الخشبة قميصًا . وفى أعلى القميص ارسم صورة وجه على ورقة ، وضع فى أعلى الرأس عودين من البخور ، ثم ضع فى مقدمة السلة قلما من الرصاص . ضع القلم بين فتحات السلة وعليك بعد ذلك أن تحمل السلة أنت وصديق لك على أطراف أصابعكما ، على أن يمسك الزميل الآخر بورقة أمام القلم ، أطلق البخور وردد كلمات : « جالان كون .. جالان بيس » . ومن الممكن أن تقرأ ترتيلات دينية . بعد دقيقة سترى السلة تندفع إلى الأمام وتكتب بلغة الروح التى حلت بها ، احصل على الكتابة وحاول أن تترجمها » .

بنهاية القراءة كنت قد شدهت وانفتح فمى حتى سال لعابى ، نظرت تجاهها فطالعتنى نظـرة بلاهـة بأعينهم شجعتنى أن أقول :

ـ إنها طريقة معقدة جدًا يا (عصمت) ، من المستحيل عمليًا تنفيذها .

بادلتنى (عصمت) نظرة فارغة ، غير أن (مشيرة) قالت :

ـ كفى عن تكسير مجاديفنا يا (ليلى) ، أخبركِ شيئًا ، إن كنتِ لن تشاركى فدعينا نعمل فى هدوء .

ـ صدّقينى يا (مشيرة) ليس هذا غرضى ، فكّرى كيف ستحملان السلة على أطراف أصابعكما ثم تندفعان للأمام من دون أن تنكفئا على وجهيكما !

فكرت لثوان ثم قالت :

ـ سنتماسك .

ـ حسنًا ، هل فكرتِ أنه بعد كل هذه التعقيدات قد تحضر الروح لتكتب لكما باليابانية أو السيرلانكية ، ماذا ستفعلان حينها !

تدخلت (عصمت) وقد عزمت أمرها :

ـ احتفظى بآرائك لنفسك يا (ليلى) . أين السلة ؟

ـ سلة ؟ هل تقصدين السَبَت مثلاً ؟ بل سأحضر لكِ ما هو أفضل .

غبت لحظات بالحمام ، ثم عدت أحمل طست الغسيل ..

ـ تفضلا ، هذا سينفعكما أكثر ، أو أقول لكما ...

وغبت للحظة بالمطبخ وعدت أحمل كنكة :

ـ حضّراها فى هذه أفضل .

نظرت لى (مشيرة) بعين متسعة ، ثم تهاوت إلى مقعد منهارة :

ـ أنتِ أخطأتِ خطأ كبيرًا يا (ليلى) ... لقد أهنتها ..

ـ ومن هى ؟

ـ (ويجا) .

ضحكت فى سخرية ، ثم نظرت إلى (عصمت) أشهدها :

Looloo www.looloo...com

ــ انظرى يا (عصمت) ، إنها تخشى على مشاعر (ويجا) !

غير أن (عصمت) لم تبادلنى الابتسام .. آحم .. بالتأكيد أدرك الآن أننى كنتُ مخطئة يا سيدة (ويجا) .. أدرك أننى تماديت ويمكننى الاعتذار بكل تأكيد ، أعنى ... فى حالة إن كان هذا سينفع ...

على أية حال ، كانت (عصمت) قد عزمت على صنع لوح الويجا ، تناولت نتيجة الحائط فقلبتها على جانبها الآخر ، وأخرجت قلمًا من حقيبتها وراحت تكتب الحروف الإنجليزية مستندة إلى طاولة السفرة بالصالة ، وهو ذات الموضع الذى أحتفظ فيه بجهاز الكمبيوتر الخاص بى .. فكرت أن أثنيها بعبارة متهكمة من العبارات التى أجيد صياغتها ، غير أن شيئًا من الإصرار فى عينيها أحجمنى ، كانت تتوقف ، وتدلف إلى الإنترنت تستقى المعلومات ، وتعود فتحاول ، ثم تتوقف ، وهكذا .. أدرت عينى عن اللوحة أمامها ، فوقعت على الكيبورد على بعد سنتيمترات ، وجدت أنى أنزع الكيبورد عن الجهاز ، وألقى به فوق المنضدة أمامها صائحة :

ــ ولماذا تتعبى نفسك ؟ ها هو ...

ــ ها هو ماذا ؟

ــ ها هو اللوح جاهزًا ... أمامك لوحة مفاتيح بها كافة الحروف والأرقام باللغة الإنجليزية .. بالإضافة إلى العديد من الأزرار المساعدة ..

ثم أعليت صوتى :

ــ لماذا لا تستخدمى هذا اللوح يا (ويجا) للتواصل معنا ؟

تقم (مشيرة) مسرعة تغلق فمى :

ــ اصمتى يا (ليلى) ، اصمتى ، لا تستفزيها أكثر .

أزيح يدها بقوة :

ــ لو كانت جادة يا (مشيرة) لن تفرق معها الوسيلة ، هذا إن كان لها وجود ، أريد أن أثبت لكما أنها مجرد وهم للحزانى والثكالى أمثالك ، ها هى لم تستجب للدعوة ولم تحضر .

ــ اصمتى يا (ليلى) ، قلتُ لكِ أن تصمتى .

ــ صدّقينى يا عزيزتى ، هذه الأوهام لن تنفعك ، يمكنك أن تدعو لوالدتك بالرحمة ، يمكنك أن تقدّمى الأعمال الصالحة من أجلها ، هكذا تضمنين مغفرتها ، لكن ليس بهذه الطريقة أبدًا .

ــ هذه الطريقة تعمل يا (ليلى) ، لست أول واحدة تستخدمها ولن أكون الأخيرة .

ــ يا عزيزتى لم تسجل المشاهدات أكثر من بعض الهلاوس المرئية والمسموعة : شمعة يخبو نورها ، نداءات غامضة ، كراسى تتحرك .. محض أوهام ..

ــ ليست أوهام يا (ليلى) ، هذه الطريقة فعالة وتعمل .

ــ إذًا لماذا لا تعمل ؟ هاه ؟!

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لأنكِ تهينيهـــا يا (ليلى) بهذا الكيبـــورد ، أخبركِ شيئًا ، (ويجا) يجب أن تأتى بالأدوات والطقـــوس التى تحددها هى .

ـ وما الذى تحتاجه أكثـــر من لوحـــة مـــن الحروف كى تجىء ؟ إننى أدعـــوكِ يا (ويجا) مرة بعـــد مرة أن تستخدمى لوحة المفاتيح هذه وتنبئينا عن وجودك ... فقط ، لو كان لكِ وجـــود .

ثم سحبتُ كرسيا وجلستُ إلى المنضدة ، أزفر زفرة الانتصار الأخير قائلة :

ـ ولكنكِ لا وجود لكِ .

علا الوجوم الوجوه ، وعم الصمت ، لو أنك رميت إبرة حينها لسمعت رنينها ، ولو أنك ضغطت مفتاحًا من الكيبورد ، لسمعت تلك التكة الخافتة للمفتاح إذ يعلو ويهبط .. أما أنا فسمعت التكة ، بالرغم من أننى لم أضغط المفتاح .

تصلبت عينى وعين (عصمت) على مفتاح Enter الذى انضغط أمام أعيننا من دون أن تمسه يد .. وهبّت (مشيرة) تنظر إلى حيث ننظر ، رفعتُ عينى إلى (عصمت) متسائلة :

ـ لماذا ضغطتِ هذا المفتاح يا (عصمت) ؟

فأمالت رأسها ونظرت إلى نظرة مستنكرة ، ألم يكن كل شىء أمام ناظرى ؟

أما الدقائق التالية ، قد حملت لى نبوءاتى حرفيًا عن الهلاوس السمعية والبصرية ، قبل أن يعمّ الظـــلام ، أطلقـــت (مشـــيرة) صرخـــة وتعلقت

بـ (عصمت) ، وركضت متعثرة نحو مفاتيح الإضاءة لكنها لم تعمل ، فسألت بصوت خفيض ، ودون أن أرغب فعليًا فى أية إجابة :

ـ هل أحد هنا ؟

انبعثت إضاءة حمراء خفيضة من أسفل مفتاح Enter بينما ينضغط إلى الأسفل ، وقع فى نفسى ، وقبل أن أبتلع ريقى ، التمعت الأرقام على الكيبورد :

3

2

1

ثم التمع مفتاح Shift بذات الإضاءة ..

لثانية لم أفهم معنى هذا ، وفى الثانية التالية كانت الأصوات تبعث لأثاث يتحرك بطول وعرض المنزل ، ثم تعالت الأصوات لأثاث يرتطم بالجدران ويتساقط أرضًا ، وإلى جانب رأسى بالذات ، تهاوت قطعة أثاث ، هتفت (عصمت) بنا :

ـ احتموا بالمائدة ، احتموا بالمائدة .

هدأت الأجواء بعد دقائق ، فتحسستُ طريقى نحو باب المنزل ، وحاولتُ فتحه لكنه كان وكأنه موصدًا ، أطرقت عليه بكلتا يدى وطلبت النجدة ، فأصابتنى ضربة قوية خلف رأسى أسقطتنى إلى الأرض غير واعية لما يدور حولى .. فتحت عيناى على (عصمت) توسد رأسى فخذيها :

looloo www.looloolibrary.com

ــ هل أنتِ بخير ؟

و(مشيرة) تقول باكية :

ــ قلتُ لكِ يا (ليلى) ! إن غضبها سيئ .

أسكتتها (عصمت) :

ــ ليس وقته الآن يا (مشيرة) ، المهم أن تخلص الأمور إلى خير .

لم تكن الإضاءة قد عادت بعد ، تحسست أسفل رأسى متألمة وحاولت الوقوف ، تلمست حواف منضدة السفرة التى لا زالت لوحة المفاتيح فى موضعها فوقها ، يتطاير منها الشرر مصدرًا صوتًا يقشعر له بدنى .. وبمجرد أن وقع بصرى عليها التمع مفتاح Home بإضاءة حمراء نارية ، اشتعل حريقًا حيث موضع مزهرية فى الركن ، وفى لحظات ، كانت الحرائق تشتعل بكافة أرجاء المنزل .

التقطتُ مشّاية من الأرض وتوجهت إلى مواضع الحريق أطفئها ، كذا فعلت (عصمت) ، وتناولت (مشيرة) هاتفها وراحت تحاول الاتصال مرة بعد مرة نسمع صوتها : « آلو ، آلو ... » ثم قالت من بين دموعها ما كنّا نعرفه بالحدس : « لا توجد خطوط » .

كلما أطفأنا حريقًا تتجدد فى موضع آخر ، مع كل انضغاطه لمفتاح Plus (+) على الكيبورد . أصابتنى جروح بيدى ، لم أتمالك نفسى غير أن صرخت :

ــ لماذا تفعلون هذا ، هل أنتم أغبياء حتى تقتلوننا وتحرقون البيت ؟

خبا الحريق تمامًا ، وعادت الإضاءة للمكان ، نظرنا إلى بعضنا فى ريبة ، نظرتُ إلى الأثاث فى حسرة ، وأمسكتُ ذراعى من الألم . أما الكيبورد فكانت تقبع فى براءة لا تنبئ أبدًا عن مشاركتها فى قتلنا من قبل .

جميل أن تهدأ الأمور ولكن ، تساءلتُ فى نفسى : « هل كنتُ مؤثرة إلى هذا الحد إذ أنعتهم بالغباء؟ » انطبعت حروف كلمة على الكيبورد :

I – N – S – U – L – T

ثم انضغط مفتاح Slash (/)

ولم أدر إلاّ وصفعة قوية تهوى على خدى تدير رأسى وتكاد تسقطنى لولا أسندتنى المنضدة .

انسالت دموعى رغمًا عنى ، قبل تلك اللحظة كنتُ أخشى على حياتى ، أما وقد تمت إهانتى إلى هذا الحد فلم يعد لدى ما أخشى عليه ، إحساسى بالألم المعنوى كان يفوق المادى ، ولو أن الأخير كان قويًا بحق . صحتُ بأعلى صوت :

ــ من أنت ؟ أريد أن أعرف من الذى أحاربه ؟

لم أتلقَ ردًا ، فعدتُ أردد مشددة على مقاطعى :

ــ أكرر سؤالى : من أنت !؟ فلتواجهنى إن كنتَ تستطيع !

ثم صرختُ بكل طاقتى :

ــ أرنى وجهك !

Looloo
www.looloolibrary.com

هنا زام الكيبورد وتحرك فوق المنضدة .. والتمع الرقم 6 بالأحمر النارى ، وانضغط ثلاث مرات متتالية متمثلاً علامة الشيطان ذاته .

وعلى البعد ، سمعت زومًا وزئيرًا .. التفتُ فى سرعة ، كان وجهًا ناريًا يقترب ، كان غاضبًا وتتساقط النيران من شدقيه ، ومن العجيب أن أقول : إن ملامحه الشيطانية كـان بها شـيئًا من الأنوثة . أما العينين فكانتا مصوّبتين بالضبط تجاهى ، انزوت (مشـيرة) تبكى فى الركن ، وهرعت (عصمت) تقف أمامى تلوذ عنى بذراعيها :

ــ لا تقترب منها ، لا تخافى يا (ليلى) ، لئـن لم أحمينك منهم فلأُقتل أو أُشنَق !

كنت محاصرة ومـن خلفى المنضدة ، لم أجـد إلا أن أمد يدى إلى الكيبورد ، أبحث عن أية شىء قـد ينفعنى ، كان يقترب جدًا ، كاد يلامس (عصمت) ، أردتُ فقط أن أحافظ على بعض المسافة بيننا .. شيئًا يبقينا بأمان لثانية أخرى ، لم أطمح لأكثر من ثانية أخرى ، وقعت عينى على مفتاح Space ، ومن دون تفكير ضغطته .

تراجع الوجه النارى مترًا إلى الوراء ، وعلا الارتباك قسماته الشيطانية ، ثم عاد للتقدم فى ثبات ، ابتسمتُ برغم المحنة ، وقبضتُ على الكيبورد واتخذته بحضنى ، كان الكشف بأكثر مما أحلم به ، ضغطتُ المسافة مرتين ثلاثة ، فقط لأكسب بعض الوقت ...

كانت تقاوم برغم مفاجأتها ، فينضغط بالمقابل مفتاح Backspace وأخسر المسافة التى كنتُ اكتسبتها ، ولكنى مع هذا لم أخسر تفوقى بالكشف والمفاجأة .

أحرّك سهم اليمين فأزيحها كعروسة ماريونت نحو اليمين ، فينضغط سهم اليسار تستعيد مكانها ، لم أكن غاضبة ، لم أكن خائفة ، كنت أتسلى باللعب وتشعرنى المقاومة بلذة الانتصار الذى كنتُ قد عقدت العزم عليه ، بزوم الوجه ويتحـرك رغمًا عنـه إلى حيث أشير ، كانت عجبى لما يحدث لها ، وتتراكم تقطيبات الغضـب فـوق جبينها واحدة تلو الأخرى ويعلو الزئير ، ثم تتقدم بخطوة أسرع وحقد أكبر ، هنا وجدت أننى قد استكفيتُ من اللعب ، وأن أفضل ما يمكننى فعله الآن أن أضغط مفتاح Escape . وأتمسك به حتى المنتهى ..

حتى التمع الغل بعينها وترددت صرختها المدوية .

حتى انطبعت الأحرف على الكيبورد تؤكد النية فى اللعب وقت آخر : BACK .

حتى احترق الكيبورد ومنح ذراعاى المزيد من الحروق .

وحتى خمد كل شىء .

كلمة أخيرة أريد أن أقولها ، كلمة أخيرة أشهد بها ، لقد ارتضيتِ اللعـب معى بقوانين الكيبورد سيدة (ويجـا) ، وقد التزمتِ بالقوانين ، وأنا ــ من كل أعماق قلبى ــ أحب الملتزمين .

حقًا ، أقول .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

9

تهب (ويجا) من مجلسها :

ــ (ويجا) تلتزم بالقوانين التى ارتضتها بنفسها ، وقد نجوتِ مرتين ، لكنى لا أضمن شيئًا فى الثالثة .

تسير لتخرج من الباب الزجاجى ، ومن ثم الجرار المعدنى ، ومن خلفها الرفاق زملاء السهرة ، يودّعوننى بأعينهم من دون أن أجروُ أو يجرءون علىِ طقوس الوداع ... أتلفت حولى : ها قد أنهيتُ سهرتى وحيدة كما كنت قد ابتدأتها ، غير أنى هذه المرة فى مكان مغلق مع جثة وسلاح جريمة : أى أننى حققتُ الجريمة الكاملة ، ليس فى الإفلات من العقاب ، ولكن فى تلبسه كاملاً .

انحنيتُ على (عادل) أتفحص جيوبه ، أتحاشى النظر إلى رأسه المُدمَر ، يصادفنى شىء له حدود مستطيل صغير ، أرفعه أمام وجهى ، جهاز مسجَل كفَى مع عبارة "Play Me" ، أتركه إلى جانب ، ليس هذا ما أبحث عنه ، أبحث أكثر ، أسرع ، فأتلمس حدود المفتاح المعدنى المحبب .. أركض إلى الباب ، أتوقف ، لن أحب أن يرانى شخص عابر مع الجثة فور أن أفتح الباب ، أعود أسحب الجثة إلى الداخل ، أُسرِع أفتح الباب الزجاجى ، وأجاهد باستخدام ماسورة معدنية كى أرفع الجرار إلى الأعلى ، الشارع فارغ ، والنهار لم يفرض سطوته بعد ... إننى بخير ، أركض كأن ثلة أشباح ، كأن جثة قتيل ، كأن روح (ويجا) تطاردنى ... أركض كأننى لا أصدق أننى نجوت ، أتوقف لحظة وأفكر : « ترى ما الذى كان بالشريط؟ » ، ثم أتابع الركض .

* * *

كنا صغار

نكتب على ذاك الجدار

« الحب عذب »

نسينا الألف

والمعنى جد اختلف

* * *

ثم كبرنا .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

خـاتمـة

أيها الراحل تفكّر؛ سلّمة الحاضر نخرة ، سلّمة الماضى ذكرى ، سلّمة الآتى خطرة ، فتوقف تزن الخطوة ، وتأمّل .

(ليلى) :

وهكذا ، نمت ليومين متتاليين ، ثم استيقظت أقص عليك ما جرى ، لا يثير جنونى غير أنى لا أعرف محتوى ذاك الشريط !

(فانتوم) :

ولو أخبرتك عن محتوى الشريط ... ؟

(ليلى) :

وكيف تخبرنى ولم تكن حاضرًا بيننا ؟

(فانتوم) :

ومن قال أننى لم أكن واحدًا منكم ؟

(يدور رأسى .. أفكّر إن كان ممكنًا أن يكون (يامن) .. هو ليس (عادل) بالطبع ، وليس (بشير) بالتأكيد . نعم ، ستكون كارثة لو كان (بشير) !

(فانتوم) :

لكنك تندمجين مع الأشباح فى سرعة تُحسدين عليها .. كيف جاءك خاطر أن تخبرينهم أنكِ تم قتلكِ ؟

(ليلى) :

أرأيت ؟ إننى فخورة بقدرتى على استشعار الخطر والتحرز منه ، لقد وجدت أننى وقعت وسط عصبة من الأشباح ــ عذرًا (فانتوم) نسيت أنك واحد منهم ــ فوجدت أن التأقلم يحتّم على أن أدّعى الموت مثلهم .

(فانتوم) :

للمرة الثانية تتصورين تصورات مأساوية بناءً على افتراضية زواج (سامى)(*) ..

(ليلى) :

لا تثير هذه الافتراضية كى لا أتحفك بقصة جديدة .

(فانتوم) :

لكنكِ تأمنين للناس بسهولة ...

(ليلى) :

ما لم يحدث ما يدعونى للشك .

(فانتوم) :

(*) المزيد عن هذا برواية « الوصول إليك » ــ العدد الرابع .

Loolor
www.looloolibrary.com

لو كنتُ مكانكِ ، لكنت شككت مبكرًا جدًا ، بالأدمن الذى يصرّ على معرفة إن كان المتحدث حيًا أم ميتًا ، إلى حد الشجار والعصبية ، ويدفع إلى اللقاء خارج الإنترنت مذللاً كل العقبات مرة مقترحًا شاليهًا ومرة سايبر ، مع تكبد الخسائر المالية لإغلاق السايبر الخاص به ، والذى لا يعرف مواضع الأشياء بالسايبر الذى يُفترَض أنه يملكه ، حتى الأشياء بضخامة « الثلاجة » ، ويسأل عن الوقت غير دارٍ بأن الساعة معلّقة أمامه .

(ليلى) :

نعم ، لكن لا تنكر أننى شككت بـ (عادل) فور أن رأيت المسدس بملابسه ..

(فانتوم) :

تمزحين يا عزيزتى ، لا تختبرى أعصابى الهزيلة .

(ليلى) :

بل صدقًا أقول ، وأخبرك قبل أن تقول ، أيضًا شككت بـ (مايا) و(يامن) و(منال) أنهم قد يكونوا فارقوا الحياة .

(فانتوم) :

حقًا فعلتِ؟ ظننت أن (عادل) وبقية الحضور وحدهم من تشككوا بهذا ! أما بالنسبة لى ، فكان واضحًا أن (مايا) التى تسكن فى محافظة نائية من

غير الممكن أن تحضر قبلكِ وفى أقل من ساعة ما لم تكن قد تخلّت عن جسدها البشرى . و(يامن) الذى لم يتجاوز الخامسة والعشرين ، كيف يمكن أن يكون له ابنان مراهقان فى عمر الثالثة عشرة ، ما لم يكن الزمن قد توقف به فيما يكبر ابناه .

(ليلى) :

و(منال) ؟

(يامن) :

ألم تلحظى أنها هى التى أخبرت (عادل) عن الساعة حين سأل عن الوقت؟ من أين اكتسبت تلك الحدّة فى نظرها بعدما كان ضعيفًا فى حياتها ؟

(لا أريد أن أبدى الانبهار ، كى لا يغتر على أكثر مما هو عليه) .

(ليلى) :

وأنا لو مكانك ، خلف شاشتى الآمنة ، كنتُ لاحظتُ الأمر ذاته .

(فانتوم) :

أنتِ تصرفتِ بشكل جيد ، وإذا تغاضينا عن العلقة الساخنة التى تلقيتها من (ويجا) فى أول مرة ، ثم الأمسية التى يجف لها الحلق فى الثانية ، فإنكِ تتقدمين بشكل ملحوظ .

(لا أستبعد فى هذه اللحظة أن يكون هو (بشير) ، ومن أجل هذا فليصطبر ..)

Looloo
www.looloolibrary.com

(ليلى) :

معك حق ، ولكن على الأقل استطعت الحفاظ على حياتى ، فى حين لم يستطع البعض .

(فانتوم) :

أعترف لكِ بهذا ، ولكن يجب أن تكونى أكثر حذرًا فى المرات القادمة ، فـ (ويجا) لا يمكن أن تغفل ثأرها ، وإذا قررت خصومتك فسينتهى أمرك فى لا زمن ، ذلك أنها من أقوى سادة العالم السفلى ، ولها شأن كبير وسلطات مطلقة ، فلا تحاولى ثانيةً إزعاجها أو تحديها ، وكونى حذرة كثيرًا فى الأيام القادمة بشأن كل ما يتعلق بالكتابة والحروف والأرقام ، فهى شيطانة الحروف ومعروفة بأنها خادمتها وسيدتها . ولا تحصرى ظنونك بها فى شكل الأنثى فقط ، فـ (ويجا) بالأصل كيان مذكر ، غير أنه يحلو له التجسد فى هيئة أنثى ، كما شاع عنها ذلك بين العامة .

(ليلى) :

هـذا يفتح الخيـارات إلى ما لا نهاية ، لو أن (ويجا) اتخذت كيانًا مذكرًا ، ثم استغلت الحروف والأرقام التى أكتبها إليك ، فمن المرجّح بقوة أنها أنت .

(فانتوم) :

أنتِ استيقظتِ للتو ببديهة طازجة ، أما أنا فأرغب بالنوم ... سأذهب الآن ، ونرى هذه المسألة لاحقًا ..

(ليلى) :

لا ، لا ، هل ستغادر دون أن تخبرنى عن محتوى الشريط ، وكيف حصلت عليه ؟

(فانتوم) :

لستُ راغبًا حقًا فى ... ...

(ليلى) :

هل ستقول أم ... ...

(فانتوم) :

سأقول ، سأقول ..

أما عن محتواه فأنقل لكِ نصّه :

مرحبًا ، (عادل) ، محدثتك ، (ويجا) ، وقد وجدت أن هذا الطراز من الألعاب الذى يمارسه (جيكسو) هو الأجدر بنا نحن ، سادة العالم السفلى . كان من الممكن أن تبدى الامتنان لمن يقدمون لك الخدمات على مدار حياتك ، لكنك لآخر لحظة من حياتك ، أصررت على ألا تفعل ، فسيكون عليك الآن أن تبدى الامتنان لحياتك ذاتها ، إن أردتها .

مسدسك أيها الضابِط ، يحتوى على طلقة واحدة ، ستكون من نصيب الذى لم يدفع ثمن أخطائه فى الغرفة المسكونة ، كل ما عليك أن تنشق الغرفة وستنجذب إليهـا أرواح المتعلقين بأحبال الحب الذائبة فى الفضاء

looloo www.looloolibrary.com

الأثيرى فى حيواتهم وبعد انقضائها ، وروحًا لا يمكن تصنيفها ، لا إلى الأحياء ولا إلى الأموات ، لا إلى السعداء ولا إلى التعساء ، لا إلى القتلة ولا إلى المقتولين .. إنها الـ بين بين ، وقـد أجرمت جرمًا لم تتلقَ عنه الجزاء ، اكتشفها وامنحها الطلقة قبل الخامسة صباحًا ، وإلاّ تصبح من نصيبك أنت » .

وأما عن « كيف حصلتُ عليه » ، فكل مواقع الأخبار تناقلته ، أنتِ فقط الغائبة عن الزمن منذ يومين .

توقف (فانتوم) عن الحديث ، وتركنى أحدّث نفسى بصوت كالهمس : « إذًا ، لم تكن مصادفة أو تزجية للوقت ، كنتُ أنا المقصودة من مخطط (ويجا) هذا كله » . غير أنى عدت أطمئن نفسى : « هذا لو أن لها وجودًا بالأصل ! »

أنتبه لهذا الذى أهمس به ، فأغلق فمى بكلتا يدى .

* * *

العدد القادم

عد لزيارتنا

« هذا ، إن استطعت أن تُفلِت فى المرة الأولى ! »

« ركضتْ (ريم) إلى (باسم) :

ــ (باسم) ! ابنة الرجل الميّتة تريد آيس كريم !

ــ احضرى لها .

أمسكت ياقته وأعلت صوتها :

ــ أقول لك : ميّتة ! ميّتة !

انتبه جميع الرواد ، علت الهمهمات .. أنزل يديها وأخفض صوته :

ــ لا تقطعى عيشنا يا (ريم) . أية ميتة ، وأية خرافات ! دعى اليوم يمر بعدها نتحدث .

زفرتْ فى يأس . انتقلت إلى (دليـلة) ، جاءتها من الخلف إذ تميل لتقدم الطلبات :

ــ ابنة الرجل التى تجلس هناك يا (دليلة) ميتـ ... !

Looloo
www.looloolibrary.com

قطعت عبارتها . سرت القشعريرة ببدنها حين رأت ذلك الزبون الذى مالت (دليلة) لتقدم له الطعام . لم يكن أكثر من قط . قط أسود منتصب وعلى صدره منشفة بيضاء » .

والآن ، أنت تعرف أكثر من اللازم !

إلى لقـــاء !

أيها القادم إلىّ ، أيها الراحل عنى ، أيها العابر فوق أحرفى واطئًا جرحى ، داهسًا وجعى ، مبعثرًا نزفى ، مشاهدًا ــ عن كثب ــ حبى وخوفى وأعمق أسرار نفسى ، ثم مديرًا ظهرك إلى كألّم تكن ،

هدّىء مسيرك ، سأتبعك .

سنلتقى ، ولو لم تصل إلى ، لوصلت إليك . امكث جوار الحائط ، ادخل داخل الحائط ، اختبئ تحت فراشك ، أخفِ وجهك ، اكتم صوتك ، ستكون لك زلّة ؛ ستفضحك أنفاسك ، أو تسعل فجأة . ثم لن ينفعك طول الاختباء .

ها قد انتهيت ، ويمكننى أن أقول : "See you"

وبالعربية تصبح : « مصير الأحياء إلى لقاء! »

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية
في كتاب الحب والرعب سطر . يضمن تدفق
الأدرينالين إلى دمك . قبل أن يسفك دمك !

سالى عادل

الحب والرعب 6

حلقة رعب

سأقول.. سأقول

عن الصوت المجروح ذى اللكنة الأمريكية. عن الغائب فى عالمه حاضرا فى عالمى . عن الرجل المشنوق الذى عشقته . عن فستان للبيع بداخله امرأة . وسكاتة يجىء معها الطفل . وكاميرا وفوقها مصوّر . عن الشروط غير العادلة للحياة . وحبيب تحبه أنت ويتزوجه غيرك . ونصيب تركض منه فيركض خلفك . عن شخص لا يستحق الموت وشخص لا يستحق الحياة . وقدر لن تعجبه فلسفتك . عن امرأة تخطف حبيبى وهذه المرأة قتيلة وأنا قاتلتها . عن اختيارات نختارها والسكين على رقابنا . وألعاب نلعبها رغم أنوفنا . ثم ندفع حياتنا ثمنا للفوز . عن حكايات لم تُحكَ . وديون لم تُسدَّد . ومصائب تحل لا تدرى من أين !

الثمن فى مصر 7
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العربية الحديثة

الخط الساخن
19350